(١٢١) من أنتَ .. وما الذى فضَّلكَ اللهُ تعالَى به على جميع الأنبياء والمرسلين الذين كانوا قبلك، يا رسول الله؟

(عن) أبى سعيد الخدرىِّ ﷺ أن النبى ﷺ قال: (**أنا سَيِّد ولد آدمَ يومَ القيامة ولا فخر، وبيدى لواءُ الحمد ولا فخر، وما من نَبىٍّ يومئذ: آدمُ فمن سواهُ إلا تحتَ لوائى، وأنا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عنه الأرضُ، وَأنَا أوَّلُ شَافعٍ، وَأَوَّلُ مُشَفَّع**). [أخرجه أحمد وابن ماجه والترمذى، وقال حسن صحيح]

(وعن) ابن عباس ﷺ أن النبى ﷺ، وقد سَمِعَ نَاسًا منْ أصْحَابه يتَذَاكَرُون فى تَفَاضل الأنبياء، فقال: (**قد سَمِعْت كلامَكُم وعَجَبَكُم . إنَّ إبْرَاهيمَ خَليلُ الله وهو كذلك، ومُوسَى نَجىُّ الله وهو كَذَلكَ، وَعيسَى رُوحُ الله وكَلمَتُهُ وهُو كَذَلكَ، وآدَمَ اصْطفَاهُ اللهُ وَهُو كَذَلكَ . أَلاَ وأَنَا حَبيبُ الله ولا فَخْر، وأَنَا حَامِلُ لوَاء الحَمْد يَوْمَ القيامة ولا فخر، وأنا أول شافع وأوَّلُ مُشَفَّع يوم القيامة ولا فخر، وأنا أوَّلُ مَنْ يُحَرِّكُ حلَقَ الجنَّة، فيفتَحُ اللهُ لى فَيُدْخلُنيهَا ومَعِىَ فُقَراءُ المؤمنينَ ولا فَخْرَ، وَأنَا أكْرَمُ الأوَّلينَ والآخرينَ ولا فخر**).

[أخرجه الترمذى، وقال: حديث غريب]

(ففى) هذين الحديثين الشريفين، بالإضافة إلى غيرهما من الأحاديث الشريفة: يتحدث النبى صلى الله عليه وآله وسلم عن نفسه ـ تحدثاً بنعمة الله تعالى عليه وعلينا، أو علينا وعليه ـ (وذلك) حتى نقف من خلال حديثه هذا على قدرة الذى لم يبلغه أحد سواه .. (فهو) خاتم الأنبياء والمرسلين .. قال تعالى: ﴿**مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ**﴾[١٧٩١]، (وهو) المرسَل إلى الناس كافة.. قال تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا**﴾[١٧٩٢].

(١٧٩١) الأحزاب: ٤٠ .

(١٧٩٢) سبأ: ٢٨ .

(وهو) الرحمة المهداة من الله تعالى إلى العالمين .. قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (١٧٩٣) ومنهم الأنبياء والمرسلون .. وجميع خلق الله أجمعينَ .. حتى الملائكة (وهو) المرسل إلى الجن .. قال تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ (١٧٩٤).

(وهو) صلوات الله وسلامه عليه صاحب المعجزات الكبرى، التى (منها) انشقاق القمر .. قال تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾ (١٧٩٥). (وعن) أنس أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يُريَهم آيةً، فأراهم القمر شُقَّتين، حتَّى رأوْا حِراء بينهما . [أخرجه الشيخان .. والأحاديث فى هذا تبلغ حَدَّ التواتر]

(وهو) الذى نبع الماء من تحت أصابعه .. (فعن) أنس رضي الله عنه قال: رأيتُ رسولَ ﷺ وحانت صلاة العصر، فالتمسَ الناسُ الوَضوء (١٧٩٦) فلم يَجدوه، فأُتيَ ﷺ بوَضوءٍ فوضع يده فيه، وأمَرَ الناسَ أن يَتوضَّئُوا، فرأيتُ الماءَ ينبعُ من تحت أصابعه، فتوضأ الناس عن آخرهم . [أخرجه الشيخان]

(وهو) الذى كَثُر ببركته القليل من الطعام .. (فعن) أبى هريرة رضي الله عنه قال: كنا مع النبى ﷺ فى مَسيرٍ فَنَفِدَتْ أزوادُ القوم حتَّى هَمُّوا بنحر حَمائلهم (١٧٩٧). فقال عُمر بن الخطاب رضي الله عنه: يا رسول الله، لو جَمَعْتَ ما بَقِيَ من أزواد القوم فدعوتَ الله عليها؟ ففعل، فجاء ذُو البُرِّ ببُرِّه (١٧٩٨)، وذو التمر بتمره، وذو النَّوَاة بنواته . قيل: ما كانوا يصنعون بالنوى ؟ قال: كانوا يَمُصُّونَهُ ويشربون عليه الماء . فدعا عليها حتى ملأ القومُ مَزَاوِدَهم (١٧٩٩) . فقال عند ذلك: (أشهد أن لا إله إلا الله وأنِّى رسول الله، لا يلقى اللهَ بهما عبدٌ غير شَاكٍّ فيهما إلا دَخَلَ الجنةَ). [رواه مسلم]

(١٧٩٣) الأنبياء: ١٠٧ .

(١٧٩٤) الجن: ١، ٢ .

(١٧٩٥) سورة القمر: ١ .

(١٧٩٦) الوضوء بفتح الواو .. أى: الماء الذى يُتوضأ به .

(١٧٩٧) أى: النُّوق التى يركبونها ويحملون عليها أمتعتهم.

(١٧٩٨) أى: القمح .

(١٧٩٩) جمع مِزود بكسر فسكون: ما يُجعل فيه الزاد.

(وهو) الذى كلَّمته الجمادات .. (فعن) على ﷺ قال: كنا مع رسول الله ﷺ بمكة فخرجنا فى بعض نواحيها، فما استقبله جبل ولا شجر إلا وهو يقول: السلام عليك يا رسول الله .

[أخرجه الدارمى والترمذى وقال: حسن غريب لكنه رُوى من عدة طرق]

(وعن) جابر بن سَمُرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(إن بمكة حجرًا كان يُسلِّمُ علىَّ ليالى بُعِثْتُ ، إنِّى لأعرفه الآن)**.

[أخرجه أحمد ومسلم والترمذى وقال: حسن غريب]

(وهو) الذى حَنَّ الجذعُ لفراقه صلوات الله وسلامه عليه: (فعن) أنس ﷺ قال: خطب رسول الله ﷺ إلى لِزْق (١٨٠٠) جذع، فلما صنعوا له المِنْبرَ فخطب عليه حَنَّ الجذعُ حنينَ الناقة، فنزل النبى ﷺ فمسَّه فسكَنَ .

[أخرجه الترمذى وقال: حسن صحيح]

(قال) فى (الدين الخالص) (١٨٠١): (وله) ﷺ معجزات كثيرة غير ما ذُكر . (أهمها) بل وأفضلها (القرآن)، فإنه المعجزة المستمرة إلى قرب القيامة، وقد تحدَّى النبى ﷺ العرب إلى معارضته، وتحدَّاهم بالإتيان بمثل أقصر سورة منه، فاستولى عليهم العجز وبلغ منهم العِىُّ (١٨٠٢) مبلغه، وخَرِسَتْ ألسنتُهم فلم تُخره جَوَابًا .. قال تعالى:

﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ (١٨٠٣) وقال: **﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾** (١٨٠٤) .

(ولهذا) كان الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه (هو) أفضل خَلْق

(١٨٠٠) لِزْق بكسر فسكون، أى: إلى جنبه.

(١٨٠١) ج١ ص ٥١.

(١٨٠٢) أى: الجهل .

(١٨٠٣) الإسراء: ٨٨.

(١٨٠٤) هود: ١٣.

الله على الإطلاق فى الدنيا والآخرة .. (وحسبى) أن أُشير إلى أنه صلوات الله وسلامه عليه فى ليلة الإسراء والمعراج ـ الذى هو من أعظم معجزاته ـ قَدَّمَهُ جبريل عليه السلام فى بيت المقدس .. فصلى بجميع الأنبياء والمرسلين إمامًا .. وإلى هذا يشير الإمام محمود خطاب السبكى ـ عليه رحمة الله ـ فى كتابه «المقامات العلية» حيث يقول:

صَلُّوا على مَن خَلْفه صلَّى الرُّسُل ... شَرَفٌ علـى تمكينِ عِزَّتـه يـدُل
فـإذَنْ فقُـل: هو سَيِّدٌ لهُـمُ ودُلْ ... لا تَخْشَ تَـوْبِيـخًا ولا تَغْشـيمَا
صلُّوا عليـه وسلِّمـوا تَسليمَـا ... مولاى صَلِّ عليه وسَلِّم تَسْلِيما

(وأما) عن الأفضلية التى بعده، فعلى النحو التالى [١٨٠٥]: (أفضل) الخلق بعد نبينا صلوات الله وسلامه عليه سيدنا إبراهيم، ثم سيدنا موسى، ثم سيدنا عيسى، ثم سيدنا نوح، ثم سيدنا آدم أبو البشر، ثم باقى الرسل على تفاضل بينهم[١٨٠٦]، ثم سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ثم رؤساء الملائكة كجبريل وإسرافيل .. ثم رؤساء الأُمة المحمدية: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم على. ثم باقى العشرة، أى: المبشَّرين بالجنة [١٨٠٧]، ثم أهل بدر، ثم أهلُ أُحُد، ثم أهل بيعة الرضوان، ثم عامة الملائكة .

(وحسبى) أن أذكِّر كذلك فى ختام هذا التذكير السريع ـ حتى نزداد معرفة بقدر الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه، وحُبًا له، وإكثارًا من الصلاة والسلام عليه ـ بأن الله ـ تبارك وتعالى ـ نهى أصحاب هذا الرسول العظيم عن خطابه كسائر الناس، فقال تعالى مخاطبًا إياهم: ﴿**لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا**﴾[١٨٠٨]، أى: إذا أردتم مخاطبته لا تقولوا له: (يا محمد)

(١٨٠٥) كما جاء أيضًا فى الجزء الأول من (الدين الخالص) ص ٤٦ .

(١٨٠٦) لأن الله تعالى يقول: ﴿**تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ**﴾ [البقرة: ٢٥٣].

(١٨٠٧) وهم: طلحة، والزبير بن العوام، وسعد بن أبى وقاص، وسعيد بن زيد، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو عبيدة بن الجراح .. عليهم جميعًا رضوان الله .

(١٨٠٨) النور: ٦٣ .

مُجردَةً هكذا، وإنما قولوا له: (يا نبى الله)، (يا حبيب الله) .. الخ .. مع أنهم فى الأمم السابقة .. كانوا يُخاطبون أنبياءهم بأسمائهم، ولم يُنْهَوْا عن هـذا.

قال تعالى: ﴿**يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا**﴾ (١٨٠٩)، ﴿**يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ**﴾ (١٨١٠)، ﴿**قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ**﴾ (١٨١١)، ﴿**قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ**﴾ (١٨١٢)، ﴿**إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ**﴾ (١٨١٣).

فعلى الأخ المسلم .. والأخت المسلمة .. أن يعرفا كل هذا وأكثر من هذا عن رسول الله ﷺ .. حتى يكونا دائمًا وأبدًا على صلة وثيقة به .. وذلك بالتمسك بسنته والتخلق بأخلاقه.. (وأيضًا) حتى يُكثرا من الصلاة والسلام عليه تنفيذًا لأمر الله تعالى فى قوله: ﴿**إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾ (١٨١٤).

فاللهم صَلِّ وسلِّم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين .. اللهم آمين،،

(١٢٢) هل يُعَذَّبُ الميتُ فى قبره بسَبب النِّياحَة عليه .. يا رسولَ الله؟

عن عُمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال النبى ﷺ : (**الميِّتُ يُعذَّبُ فى قبره بما نِيحَ عليه**)، وفى رواية: (ما نِيحَ عليه).

[رواه البخارى ومسلم وابن ماجه والنسائى، وقال : (بالنياحة عليه)]

والفرق بين ما جاء فى الرواية الأولى، وما جاء فى الرواية الثانية : أن قوله (**بما نِيحَ عليه**) أى : بسبب النِّياحة عليه .. لأن الباء للسَّببية، وما مصدرية، وقوله : (**ما نِيحَ عليه**) : أى : مدة النياحة عليه .. لأن (ما) ظرفية فى الحديث .

(١٨٠٩) هود: ٣٢.
(١٨١٠) الأعراف: ٧٧.
(١٨١١) هود: ٥٣.
(١٨١٢) مريم: ٤٦.
(١٨١٣) المائدة: ١١٢.
(١٨١٤) الأحزاب: ٥٦.

وعن المغيرة بن شُعبة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(مَن نِيحَ عليه فإنه يُعذَّبُ بما نيحَ عليه يَوْمَ القِيَامة)**. [رواه البخارى ومسلم]

وقد أفاد هذا الحديث بأن الميت يُعذَّب على النياحة فى الآخرة .. كما أفاد حديث عمر ـ بروايتيه ـ بأنه يُعذَّب بسببها فى القبر.. وطوال مدة هذه النياحة .

وإذا كان لى أن أدور حول المشار إليه فى هذين الحديثين الشريفين الصحيحين .. حتى لا تكون هناك نياحة يتعذب الميت بسببها فى القبر .. وفى يوم القيامة .. فإننى أرى أن أبدأ بتوضيح المعنى المراد من **(النياحة والندب)** حتى إذا ركَّزنا بعد ذلك على الترهيب من النياحة .. كان المراد مفهومًا .. وكان المقصود من التحذير واضحًا .

(فالنياحة) [١٨١٥]: من النَّوْح وهو رفع الصوت بالبكاء، و(الندب): تَحْديدُ المحاسن والتغالى فيها .. (وهما) مُحرَّمان: أى: أنه يحرم البكاء على الميت إذا صحبه نياحة وندب أو ضَجر أو ضَربُ خَدٍّ أو خَمشُ وجه ، أو نشر شعر ، أو عويل وصُراخ، أو دُعاء بالويل والثبور ، ونحو ذلك مما يدل على عدم الرضا بقضاء الله وقدره.

(وقد) ورد فى النهى عن ذلك عدة أحاديث (منها):

حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: **(ليس منَّا مَن شَقَّ الجيوبَ، وَلَطم الخدود، ودَعا بدَعْوى الجاهلية)**.

[أخرجه البيهقى والسبعة [١٨١٦] إلا أبا داود]

(فمعنى): (ليس منَّا)، أى ليس من أهل سُنَّتنَا وطريقتنا الكاملة مَن فعل ذلك، (فالمراد به) المبالغة فى الردع والزجر عن فعل ما ذُكر، وليس المراد إخراجه من الدين، إلاَّ إن استحل ما ذُكر مع العلم بتحريمه أو فَعَلَهُ ساخطًا على القضاء، فإنه يكفر والعياذ بالله تعالى (والمراد: بشقِّ الجيب): إكمال فتحه إلى آخر

(١٨١٥) كما جاء فى (الدين الخالص) ج٧ ص٢١١ وما بعدها .. بتصرف.. بالإضافة إلى الهامش.

(١٨١٦) أى: أخرجه البيهقى وأحمد والبخارى ومسلم والترمذى والنسائى وابن ماجه.

الثوب، وهو من علامات عدم الرضا بالقضاء .. (وخَصَّ الخدَّ باللطم) لكونه الغالب .. وإلا فلَطْمُ بقية الوجه كذلك .. (والمراد: بدعوى الجاهلية): النياحة والندب، كقولهم: واجملاه، واسنداه، واظهراه.. إلى غير ذلك .

وحديث: يزيد بن أوس قال: أُغْمِى على أبى موسى الأشعرى ﷺ فبكَوا عليه، فقال: إنى برىء ممن برئ منه النبى ﷺ ، فسألوا عن ذلك امرأته ؟ فقالت: **(مَن حَلَق، أو خَرقَ، أو سَلَقَ)**.

[أخرجه النسائى، وأبو داود، وأحمد، وهذا لفظه]

فقوله: (برىء): من البراءة، وهى فى الأصل الانفصال من الشىء، والمراد: التوعد بألا يدخله فى شفاعته مثلاً (ومن حلَق) أى: مَن حلق شعره عند المصيبة (وخرق) أى: شقَّ ثوبه (وسلَق) بالسين المهملة، ويُروى بالصاد من باب ضرب أى: رفع صوته بالبكاء .

وحديث: أُسيد بن أبى أسيد عن امرأة من المبايعات، قالت: كان فيما أخَذَ علينا رسول الله ﷺ ـ فى المعروف الذى أخذ علينا أن لا نعصيه فيه ـ ألا نخمش وجهًا ، ولا نَدعُو ويلاً ، ولا نَشُقَّ جَيْبًا ، ولا ننشر شَعْرًا .

[أخرجه أبو داود والبيهقى]

فقوله : (فيما أخذ علينا) أى: كان فى العهد الذى أخذه علينا النبى ﷺ: أننا لا نعصيه فيما عُرِف شرعًا من فعل الطاعات، وترك المخالفات، ومنه: (ألا نخمش وجهًا) أى: لا نخدش وجوهنا بأظفارنا .. (ولا ندعو ويلاً) أى: لا ندعو بالويل والهلاك والمشقة .. كأن يقول الشخص: يا ويلى يا هلاكى ويا عذابى (ولا ننشر شعرًا) أى: لا نُفرِّقه .. وكان ما ذُكر من عادات الجاهلية يُرتكب عند المصيبة فنهاهنَّ عنه.

وحديث: أنس قال: أخذ النبى ﷺ على النساء حين بايعهن ألاَّ يَنُحْنَ . فقلن: يا رسول الله، إن نساء أسعَدْتْنا فى الجاهلية أفنُسْعِدهُنَّ فى الإسلام؟ فقال:

(لا إسْعاد فى الإسلام). [أخرجه أحمد والنسائى]

(والإسعاد): المساعدة فى النياحة.. تقوم المرأة فتقوم معها أُخرى من جاراتها، فتساعدها على النياحة.

وقوله: (بايَعَهُنَّ) أى: بايع النساء فى تلك المعاهدة على: ألا يُشرِكْنَ بالله شيئًا، ولا يَسْرِقْنَ، ولا يزنين، ولا يأتين ببهتان، ولا يعصين فى معروف.. (وكُنَّ) ٤٥٧ (سبعًا وخمسين وأربعمائة) امرأة بايعهن يوم الفتح عند الصَّفا بعد أن بايع الرجال . (ولم يُصافح) واحدة منهنَّ .

(وقد) ورد فى حديث أخرجه أحمد ومسلم والبيهقى: أن النائحة إذا لم تَتُبْ قبل موتها تُقام يوم القيامة وعليها سربالٌ من قَطْرانٍ ودرعٌ من جَرَب . (وقد) اتفقت كلمة جمهور العلماء كما دلَّت الأحاديث على التغليظ فى أمر النائحة إذا لم تتب قبل موتها، وأنها مطرودة من رحمة الله تعالى، وكذا المستمع لها (وعليها) مثل أوزار مَن اقتدى بها وعمل بعملها أو استمع لها .. (وعلى) ولىِّ أمرها أن يمنعها من ذلك بكل طريق ممكن .. (وإلاَّ) كان شريكًا لها فى الإثم.

(هذا)، وإذا كان لنا الآن وبعد أن وقفنا على تلك الأساسيات الهامة .. حول تعريف النياحة، وحكم النائحة: أن نقف على أهم ما يتعلق بالسؤال الذى ندور حوله .. وهو: هل يُعذَّبُ الميت بالنياحة عليه ؟ فالخلاصة: أن ظاهر الأحاديث الواردة فى هذا الموضوع .. تفيد بأن الميت يُعذَّب بالبكاء عليه بصوت ونوح مطلقًا .. وبه قال عمر وابنه والمغيرة بن شعبة وأبو موسى الأشعرى وغيرهم .

(وقال) جماعة منهم الشافعية، منهم أبو حامد: إن الميت لا يُعذَّبُ ببكاء الغير عليه مُطلقًا لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ (١٨١٧)، أى: لا تحمل نفس مُذنبة إثم نفس أخرى، وكذا غير المذنبة لا تحمل ذنب أخرى .

(وذهب) الجمهور إلى تأويل الأحاديث الدالة على تعذيب الميت ببكاء أهله عليه لمخالفتها لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ .

(واختلفوا) فى التأويل على أقوال .. منها:

(١٨١٧) الأنعام: ١٦٤ .

أن الجمهور ذهبوا إلى حملها على أن من أوصى أن يُبكى عليه ويُناح بعد موته.. فنُفِّذت وصيته . (فإن هذا) يُعذَّب ببكائهم ونوحِهم عليه .. لأنه بسببه ومنسوب إليه.

وقال داود الظاهرى وطائفة: إنها محمولة على مَن لم يَنْهَ أهله عن ذلك .. ولم يكن قد أعلمهم بحرمته .. ولا زجرهم عن ارتكابه .. فإذا عُذِّب على ذلك عُذِّب بفعل نفسه، لا بفعل غيره بمجرده.

وقال ابن حزم وجماعة: الأحاديث محمولة على أنه يُعَذَّب بسبب الأمور التى يبكيه أهله بها ويعذبونه لأجلها كرياسته التى جار فيها، وشجاعته التى صرفها فى معصية الله، وكرمه الذى لم يضعه فى موضعه، فهم يمدحونه بها، ويبكونه لأجلها، وهو يُعذَّب بها .

وأحسن تأويل فى هذه المسألة أن المراد بالتعذيب توْبيخ الملائكة الميتَ بما يندبه أهله به .

(وقال) أبو جعفر الطبرى والقاضى عياض وغيرهما: المراد بالتعذيب تألُّم الميت مما يقع من أهله من النياحة .

(والخلاصة) كما قال بعد ذلك فى (الدين الخالص):

أنه يُحتمل أن يُجمع بين هذه التوجيهات، فينزل على اختلاف الأشخاص بأن يقال مثلاً: من كانت طريقته النَّوْح فمشى أهله على طريقته، أو بالغ فأوصاهم بذلك: عُذِّب بصُنعه.

(ومَنْ) كان ظالمًا فنُدِبَ بأفعاله الجائرة: عُذِّب بما نُدِبَ به . (ومَنْ) كان يعرف من أهله النياحةَ فأهمل نهيهم عنها، فإن كان راضيًا بذلك التحق بالأول، وإن كان غير راضٍ، عُذِّب بالتوبيخ كيف أهمل النهى؟ (ومَن) سلِمَ من ذلك كُلِّه واحتاط، فنهى أهلَه عن المعصية ثم خالفوه وفعلوا ذلك: كان تعذيبه بما يراه منهم من مخالفة أمره وإقدامهم على معصية .

(وحكى) الكرمانى تفسيرًا آخر وهو التفرقة بين حال البرزخ وحال يوم

القيامة .. فيُحمل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ على يوم القيامة .. (وأحاديث) تعذيب الميت بنَوْح أهله عليه على البرزخ (ويؤيده) أن مثل ذلك يقع فى الدنيا، والإشارة إليه بقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ﴾[١٨١٨] فإنها دالة على جواز تعذيب الإنسان بما ليس له فيه تَسَبُّب .. فكذلك يمكن أن يكون الحال فى البرزخ بخلاف يوم القيامة[١٨١٩].

فعلى الأخ المسلم .. والأخت المسلمة .. أن يلاحظا كل هذا .. حتى يتحاشيا جميع الأسباب المؤدية إلى هذا التعذيب الذى نسأل الله تعالى .. أن يعافينا جميعًا منه .. (بل) وعليهما أن يكتبا وصيةً ويُشهدَا عليها بأنهما لا يوافقان على أى فعل يخالف شرع الله فى حياتهما وبعد مماتهما .. حتى لا يتحملا مسئولية أى مخالفة يبرآن منها براءة الذئب من دم ابن يعقوب .. والله ولى التوفيق،،

(١٢٣) إلى متى سيظَلُّ بابُ التوبةِ مفتوحًا .. يا رسولَ الله؟

عن أبى موسى ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (**إن الله عزَّ وجلَّ يبسط يده بالليل ليتوبَ مُسِيءُ النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوبَ مُسِيءُ الليل حتى تطلعَ الشمسُ من مَغْربها**). [رواه مسلم والنسائى]

ففى هذا الحديث الشريف الصحيح .. يخبرنا النبى ﷺ بأن الله تبارك وتعالى يُرحب بتوبة عبده العاصى فى أى وقت من أوقات الليل أو النهار .. ما دام سينفذ شروط التوبة التى ذكرها الإمام النووى فى رياض الصالحين .. حيث يقول: (قال العلماء: التوبة واجبة من كل ذنب، فإن كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى لا تتعلق بحق آدمى، فلها ثلاثة شروط، أحدها: أن يقلع عن المعصية، والثانى: أن يندم على فعلها، والثالث: أن يعزم أن لا يعود إليها أبدًا .. فإن فقد أحد الثلاثة لم تصح توبته .

(١٨١٨) الأنفال: ٢٥ .

(١٨١٩) انظر كل هذا بالتفصيل فى الجزء السابع (من الدين الخالص) ص ٢١١ وما بعدها .

وإن كانت المعصية تتعلق بآدمى فشروطها أربعة .. هذه الثلاثة [١٨٢٠] وأن يبرأ من حق صاحبها ، فإن كانت مالاً أو نحوهَ رَدَّه إليه ، وإن كان حَدَّ قذف أو نحوه مكَّنه منه، أو طلب عفوه، وإن كان غِيبة [١٨٢١] استحله منها [١٨٢٢].. ثم يقول: ويجب أن يتوب من جميع الذنوب .. فإن تاب من بعضها صحَّتْ توبته عند أهل الحق من ذلك الذنب وبقى عليه الباقى .. وقد تظاهرت دلائل الكتاب والسنة والإجماع على وجوب التوبة) اهـ . (وذلك) لأن الله تبارك وتعالى أمر بها، فقال: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[١٨٢٣].

ومعنى قوله ﷺ: (إن الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسىء النهار) أى: ليتمكَّن مَن أساء فى النهار من التوبة والرجوع إلى الله فيقبل الله توبته ويغفر ذنبه (ويبسط يده بالنهار ليتوب مسىء الليل) أى: وكذلك يبسط يده بالنهار ليعطى الفرصة لمن أذنب فى ليله حتى يتوب من ذنبه (حتى تطلع الشمس من مغربها) أى: لا يزال هذا هو شأنه سبحانه وتعالى فى التلطف بعباده وقبوله لتوبة العُصاة منهم بالليل والنهار حتى تجىء تلك الآية العظيمة وهى طلوع الشمس من مغربها.. فحينئذ يُغلَقُ باب التوبة ولا يُقبل إيمانٌ من كافر، ولا إحسان من مسىء .. قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ [١٨٢٤].

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**مَن تاب قبل أنْ تطلعَ الشمسُ من مغربها تابَ اللهُ عليه**). [رواه مسلم]

وهذا الحديث معناه كذلك أن من أحدث توبة من ذنبه قبل مجىء هذا الوقت، وهو طلوع الشمس من مغربها .. وكانت توبته نصوحًا غير مغشوشة فإن الله بفضله يقبلها منه ويعفو عنه .

(١٨٢٠) أى: الماضية التى تتعلق بحق الله تعالى.

(١٨٢١) أو نميمة.

(١٨٢٢) أى: طلب منه أن يسامحه دون أن يذكر له ما قاله.

(١٨٢٣) النور من الآية: ٣١.

(١٨٢٤) الأنعام: من الآية ١٥٨.

وقد قرأتُ فى (الدين الخالص) ج١ تحت عنوان: (علامات الساعة الكبرى): ما نصه: (روى) حذيفة بن أسيد أن النبى ﷺ قال: **(لن تقوم الساعةُ حتى يكون عَشْرُ آيات: طلوع الشمس من مغربها، وخروجُ الدابة، وخروج يأجوج ومأجوج، والدجال، وعيسى بن مريم، والدخان، وثلاثُ خُسوف: خسفٌ بالمغرب، وخسفٌ بالمشرق، وخسف بجزيرة العرب، وآخرها نارٌ تخرج من اليمن من قعر عدن تسوق الناسَ إلى المحشر)**.

[أخرجه السبعة (١٨٢٥) إلا البخارى]

هذا، وإذا كان الذى يعنينا فى موضوعنا الذى ندور حوله، هو آية (طلوع الشمس من المغرب)، فهى أول الآيات ظهورًا .. (روى) عبدالله بن عمرو بن العاص أن النبى ﷺ قال: **(إنَّ أولَ الآيات خُروجًا طلوعُ الشمس من مغربها، وخروجُ الدابة على الناس ضُحًى، وأيَّتُهما كانت قبل صاحبتِهَا فالأخرى على أثَرِهَا قَرِيبًا)**.

[أخرجه أحمد وابن ماجه وأبو داود ومسلم واللفظ له وزاد: قال عبد الله ـ يعنى ابن عمرو ـ وأظن أولهما خروجًا طلوع الشمس من مغربها]

وعن أبى هريرة رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: **(لا تقومُ الساعةُ حتَّى تطلعَ الشمسُ من مَغْرِبها ، فإذا طلعتْ ورآها الناسُ آمنوا أجمعُونَ ، وذلك حين لا ينفع نفسًا إيمانُها لم تكُنْ آمنتْ من قبل، أو كَسَبت فى إيمانها خيرًا)**،

(فالمعنى): لا ينفع الإيمان نَفْسًا كافرةً لم تكن آمنت من قبل، ولا ينفع نفسًا مؤمنةً توبتها من المعاصى (وعليه) فغَلْق باب التوبة عام فى الكافر والمؤمن العاصي (وقيل) المعنى: أو نفسًا منافقة كسبت فى إيمانها خيرًا، أى: تصديقًا باطنًا (وعليه) فغَلْق باب التوبة خاص بالكافر. وصحَّحَ بعضهم أن عدم قبول التوبة خاصٌّ بمن شاهد طلوع الشمس من مغربها وهو مُميّز (١٨٢٦)، أمَّا مَن كان حينئذ غير مُميز صبيًا كان أو مجنونًا ثم ميَّز بعد ذلك، فإنه تُقبل منه التوبة .

(١٨٢٥) أى: أخرجه أحمد ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه.

(١٨٢٦) أى: كان بالغًا .

(والذى) دلَّت عليه الأحاديث الصحيحة الصريحة أن قبول التوبة مَنْهِىٌّ بطلوع الشمس من مغربها فلا تُقبل بعد .. (فعن) معاوية وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن عمر أن النبى ﷺ قال: (**لا تزالُ التوبةُ مقبولةً حتى تطلعَ الشمسُ من مغربها، فإذا طلعتْ طبع اللهُ على كلِّ قلبٍ بما فيه ، وكَفى الناس العمل**). [أخرجه أحمد والطبرانى](١٨٢٧)

وهذا معناه كذلك أن باب التوبة لن يُغلَق حتى تطلع الشمس من مغربها .. (وعلى هذا) فإنه ينبغى علينا نحن المؤمنين بصفة خاصة أن نبادر بالتوبة الصادقة إلى الله ـ تبارك وتعالى ـ الذى يقول: ﴿**وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾**﴾ (١٨٢٨).

وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن النبى ﷺ قال: (**إنَّ اللهَ يقبلُ توبةَ العبد ما لم يُغَرْغِر**). [رواه ابن ماجه والترمذى، وقال: حديث حسن]

يعنى أن الله عز وجل يظل فاتحًا باب توبته للعبد حتى يصل إلى حدِّ الغرغرة، وتبلغ روحه الحُلقوم، فحينئذ لا تُقبل منه ، كما قال الله تعالى: ﴿**وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ**﴾ (١٨٢٩)ولهذا لما آمن فرعون فى تلك الحالة حين أشرف على الغرق، وأيقن الهلكة لم ينفعه إيمانه قال تعالى: ﴿ **حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِى آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ * آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ**﴾ (١٨٣٠).

أسأل الله سبحانه أن يكرمنا بحُسْن الخاتمة.. وأن يجعلنا من الذين سيكونون أهلاً لمغفرته ورحمته .. فى الدنيا والآخرة .. اللهم آمين،،

(١٨٢٧) انظر: فتح البارى ص ٢٨٢ ج١١.
(١٨٢٨) طه: الآية ٨٢.
(١٨٢٩) النساء: من الآية ١٨.
(١٨٣٠) يونس: من الآية ٩٠، ٩١ .

(١٢٤) ماذا أقولُ من الذِّكْر فى الصَّبَاحِ والمَسَاءِ يا رسولَ الله؟

عن عبدالله بن خبيب قال: خرجنا فى ليلة مطر وظلمة شديدة لطلب رسول الله ﷺ ليصلى لنا فأدركناه، فقال: **(قل)**، فلم أقل شيئًا، ثم قال: **(قل)**، فلم أقل شيئًا، ثم قال: **(قل)**، فلم أقل شيئًا، ثم قال: **(قل)**، قلت: يا رسول الله ما أقول؟ قال: **(قل هو الله أحد، والمعوذتين: حين تُمسى وحين تُصبح ثلاث مرات، يكفيك من كل شىء)**. [أخرجه أبو داود والنسائى بأسانيد صحيحة]

وعن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: **(من قال حين يُصبح ويُمسى: سبحان الله وبحمده مائة مرة، لم يَأْتِ أحدٌ يوم القيامة بأفضل مما جاء به، إلا أحدٌ قال مثل ما قال أو زاد عليه)**. [أخرجه مسلم والثلاثة]، وفى رواية لأبى داود: **(سبحان الله العظيم وبحمده)** وأخرجه الحاكم وصححه وابن حبان بلفظ: **(من قال إذا أصبح مائة مرة، وإذا أمسى مائة مرة: سبحان الله وبحمده: غُفِرَتْ ذنوبه، وإن كانت مثل زَبَدِ البحر)**.

وعن أبى هريرة أن النبى ﷺ كان يقول إذا أصبح: **(اللهم بك أصبحْنَا وبك أمسينا، وبك نحيا وبك نموت، وإليك النشور)** [١٨٣١] وإذا أمسى قال: **(اللهمَّ بِكَ أمسينا وبِكَ أصبحنا، وبك نحيا وبك نموت، وإليك المصير)** [أخرجه أحمد وابن حبان وصححه والأربعة [١٨٣٢] وصححه الترمذى] وفى رواية: **(وإذا أصبحتم فقولوا: اللهم بك أصبحنا)**.. الخ . ولفظ أبى داود: **(وإليك النشور)** فيهما ولفظ الترمذى: كان رسول الله ﷺ يُعلِّم أصحابه يقول: **(إذا أصبح أحدكم فليقُلْ: اللهم بك أصبحنا، وبك أمسينا، وبك نحيا وبك نموت، وإليك المصير. وإذا أمسى فليقُلْ: اللهم بك أمسينا، وبك أصبحنا، وبك نحيا وبك نموت، وإليك النشور)**.

(١٨٣١) النشور مصدر نشر إذا عاش بعد الموت. ولذا قيل فى الصباح عقب النوم. وهو موت أصغر، وقيل فى المساء وإليه المصير لأنه يصير إلى النوم.

(١٨٣٢) والأربعة هم: أبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه.

وعن ابن مسعود أن النبى ﷺ كان إذا أمسى قال: (**أمسينا وأمسى المُلكُ لله، والحمد لله، ولا إله إلا الله وحده لا شريكَ له، له المُلْكُ وله الحمد وهو على كل شىء قدير، اللهم إنِّى أسألك خير هذه الليلة، وخير ما فيها، وأعوذ بك من شرِّها وشرِّ ما فيها . اللهم إنى أعوذ بك من الكسَل والهَرَمِ، وسوء الكِبَر**[١٨٣٣]، **وفتنة الدنيا وعذاب القبر**) وإذا أصبح قال ذلك أيضًا: (**أصبحْنَا وأصبحَ المُلْكُ لله**). [أخرجه مسلم وأبو داود]

وعن أبى هريرة أن أبا بكر الصِّديق رضي الله عنه قال: يا رسول الله مُرْنى بكلمات أقولهن إذا أصبحتُ وإذا أمسيتُ، قال: (**قل: اللهم فاطرَ السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، رب كل شىء ومليكه، أشهد أن لا إله إلا أنت، أعوذ بك من شر نفسى، وشر الشيطان وشركه**) [١٨٣٤] قال: (**قُلها إذا أصبحتَ وإذا أمسيتَ وإذا أخذتَ مضجعك**).

[أخرجه الثلاثة [١٨٣٥]، وقال الترمذى: حسن صحيح، وصحَّحه ابن حبان والحاكم]

وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**مَنْ قال فى صَباح كلِّ يوم ومساء كلِّ ليلة: باسم الله الذى لا يضرُّ مع اسمه شىء فى الأرض ولا فى السماء، وهو السميع العليم، ثلاث مرات: لم يضره شىء**).

[أخرجه الأربعة وابن حبان والحاكم وصححاه، وقال الترمذى: حسن صحيح]

وعن أبى هريرة، قال: جاء رجل إلى النبى ﷺ، فقال: يا رسول الله، ما لقيت من عقرب لدغتنى البارحة؟ فقال: (**أما لو قلتَ حين أمسيتَ: أعوذ بكلمات الله التامات من شَرِّ ما خلق: لم يضرك**).

[أخرجه مسلم والترمذى وقال: حديث حسن]

(١٨٣٣) الكِبر بكسر ففتح، والمراد الاستعاذة من طول العمر وآفاته، وما يجلبه الكبر من الخوف وذهاب العقل.

(١٨٣٤) الشرك، بكسر فسكون، أى: ما يدعو إليه الشيطان ويوسوس به من الإشراك بالله تعالى، ويُرْوى بفتح الشين والراء، أى: حبائله ومصايده.

(١٨٣٥) وهم: أبو داود والترمذى والنسائى.

فعلى الأخ المسلم.. والأخت المسلمة.. أن يتقربا إلى الله تبارك وتعالى بكل هذا الخير وغيره من الأدعية والأذكار التى من الممكن أن يقفا عليها وعلى غيرها فى كتب السنة الصحيحة .. حتى يكونا إن شاء الله تعالى من المحفوظين برعاية الله تعالى من كل المؤذيات.. بالإضافة إلى الثواب الذى سيكونان بسببه من المغفور لهم يوم القيامة.. حتى ولو كانت ذنوبهم مثل زَبَد البحر..والله ولىُّ التوفيق،،

(١٢٥) أىُّ الأعمال أفضَلُ .. عند الموت يا رسولَ الله؟

عن الحسن رضي الله عنه قال: سُئل رسول الله ﷺ: أىُّ الأعمال أفضل؟ قال: (**أن تموتَ ولسانكَ رطبٌ من ذكر الله**) [رواه سعيد بن منصور] (١٨٣٦)

وعن عبد الله بن المبارك أنه لما حضره الموت جعل رجل يُلقِّنه لا إله إلا الله فأكثر عليه . فقال له عبدالله: إذا قلتُ مرةً فأنا على ذلك ما لم أتكلم(١٨٣٧) .

وعن معاذ بن جبل أنه لما حضرته الوفاة قال: أجلسونى، فلما أجلسوه قال: كلمةٌ سمعتُها من رسول الله ﷺ يقول: (**مَنْ كانَ آخر قوله عند الموت: لا إله إلا الله وحده لا شريكَ له، إلا هَدَمَتْ ما كان قبلها من الخطايا والذنوب . فلقِّنوها موتاكم . فقيل: يا رسولَ الله، فكيف هى للأحياء ؟ قال: هى أهْدم وأهْدم**) . [أخرجه سعيد بن منصور](١٨٣٨)

ولهذا، فإنه يُسن توجيه المحتضر إلى القبلة مضطجعًا على شقه الأيمن .. (كما) يُسَنُّ تذكير مَن حضرته الوفاة كلمة التوحيد أو الشهادة من غير أمر، بأن يقال أمامه: لا إله إلا الله محمد رسول الله لتكون آخر كلامه من الدنيا فينجو من النار (لحديث) كثير بن مُرَّة عن معاذ بن جبل أن النبى ﷺ قال: (**مَنْ كان آخرَ كلامه لا إلهَ إلا اللهُ دخلَ الجنةَ**)(١٨٣٩)

[أخرجه أحمد وأبو داود والحاكم وقال: صحيح الإسناد]

(١٨٣٦) انظر ص ٣٠٤ ج٢ مغنى ابن قدامة (ما يستحب عند المريض والمحتضر).

(١٨٣٧) انظر ص ١٢٨ ج٢ تحفة الأحوذى.

(١٨٣٨) انظر ٣٠٥ ج٢ مغنى ابن قدامة (ما يفعل عند المحتضر وبه).

(١٨٣٩)وفى رواية أحمد(وجبت له الجنة) أى: لابد من دخولها إما مُعجلاً مُعافى، وإما مؤخَّرًا بعد عقابه.

وعن عثمان أن النبى ﷺ قال: (**مَن مات ويعلم أنْ لا إلهَ إلا اللهُ دخلَ الجنةَ**) [1840]. [أخرجه أحمد ومسلم]

وعن زاذانَ أبى عمر قال: حدثنى مَن سمع النبى ﷺ قال: (**مَن لُقِّن عند الموت لا إله إلا الله دخل الجنة**) [1841] [أخرجه أحمد بسند جيد]

(والمراد) مَن قرُبَ موته (لما) فى حديث أبى ذر أن النبى ﷺ قال: (**ما مِن عبد قال: لا إله إلا الله. ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة**) [1842].

[أخرجه مسلم]

أسأل الله تعالى أن يُميتنا على كلمة التوحيد .. التى نسأل الله تبارك وتعالى أن يهدم بها خطايانا وذنوبنا .. اللهم آمين،،

(١٢٦) مَا مَثَلُ القرآن لمن تعلَّمهُ .. يا رسولَ الله؟

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: بعث رسول الله ﷺ بعثًا[1843] وهُم ذوو عَدَد[1844]، فاستَقْرأهُم [1845]، أى: فاستقرأ كُلَّ رجل منهم يعنى ما معه من القرآن، فأثنى على رجل من أحْدثهمْ [1846] سنًا، فقال: (**ما معك يا فلان؟**) قال: معى كذا وكذا، وسورةُ البقرة، فقال: (**أمعك سورة البقرة؟**) قال: نعم. قال: (**اذهب فأنت أميرهم** [1847]) فقال رجل من أشرافهم [1848]: والله ما منعنى أن أتعلَّم البقرة إلا خشيةَ ألا أقوم بها [1849]، فقال رسول الله ﷺ:

(١٨٤٠) انظر ص ٥٢ ج١ الفتح الربانى (ما جاء فى نعيم الموحدين وثوابهم) وص ٢١٨ ج٧ نووى.

(١٨٤١) انظر ص ٥٨ ج٧ الفتح الربانى (ما جاء فى المحتضر).

(١٨٤٢) انظر ص ٩٤ ج٧ نووى (من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة).

(١٨٤٣) هم القطعة من الجيش، وهو من باب تسمية المفعول بالمصدر أى المبعوثين.

(١٨٤٤) يعنى: كان عددهم كبيرًا.

(١٨٤٥) أى: طلب من كل منهم أن يقرأ ما معه من القرآن، فالسين والتاء للطلب.

(١٨٤٦) أى: أصغرهم سنًا، يقال: غلام حَدَث بفتحتين أى صغير.

(١٨٤٧) أى: قائدهم ورئيسهم.

(١٨٤٨) أى: من خيارهم وكُبرائهم.

(١٨٤٩) يعنى: إلا مخافة أن لا يستطيع القيام بما تدعو إليه من العمل.

(تعلَّموا القرآنَ واقرءوه، فإن مثلَ القرآنِ لمن تعلَّمه فقرأه، كمثل جرابٍ[١٨٥٠] مَحْشُوٍّ مِسْكًا يفوح ريحُهُ فى كل مكان، ومن تعلمه فيرقُدُ وهو فى جوفه، فمثله كمثل جراب أُوكِئَ[١٨٥١] على مسك).

[رواه الترمذى واللفظ له، وقال: حديث حسن، وابن ماجه مختصرًا، وابن حبان فى صحيحه]

ففى هذا الحديث الشريف يشير النبى ﷺ إلى درجة وفضل حافظ القرآن .. أعنى الذى مَنَّ الله عليه بنعمة حفظ القرآن .. الذى هو لواء الإسلام .. (وإذا) كان النبى ﷺ قد قال لمن يحفظ (سورة البقرة): (اذهب فأنتَ أميرُهم) فما بالك بمن يحفظ ربع القرآن، أو ثلثه، أو نصفه، أو القرآن كله .. إنه لا شك سيكون قد فاز بهذا الشرف الكبير فوزًا عظيمًا .. ولاسيَّما إذا كان من الذين منَّ الله عليهم بمعرفة أحكام تجويده، وما يتعلق به من دراسات حول تفسير آياته .. وكان أيضًا بالإضافة إلى هذا من الذين يُعلِّمونه لغيرهم من المسلمين .

فعن عثمانَ بن عفانرضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: (خيركُم مَنْ تعلَّم القرآنَ وعلَّمه).

[رواه البخارى ومسلم، وأبو داود والترمذى، والنسائى وابن ماجه وغيرهم]

ففى الحديث: الحث على تعلُّم القرآن وتعليمه .. (وقد) سُئل الثورى عن الجهاد وإقراء القرآن: فرجَّح الثانى، واحتج بهذا الحديث ـ قاله فى الفتح. (وقال) الشرقاوى: لا ريب أن الجامع بين تعلُّم القرآن وتعليمه مُكَمِّلٌ لنفسه ولغيره، جامع بين النفع القاصر، والنفع المتعدى.

وعن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (ما اجتمعَ قَوْمٌ[١٨٥٢] فى بيتٍ من بُيُوت الله[١٨٥٣] يتلُونَ كتابَ الله[١٨٥٤]، ويتدارسونه[١٨٥٥] فيما

(١٨٥٠) يعنى: كيس وجمعه جربان.

(١٨٥١) أى: رُبط وشُدَّ، والوكاء الخيط الذى تشد به الصُّرة والكيس ونحوهما.

(١٨٥٢) القوم: الجماعة من الناس وجمعه أقوام.

(١٨٥٣) وبيوته سبحانه فى أرضه هى المساجد.

(١٨٥٤) التلاوة: أى القرآن باللسان

(١٨٥٥) يعنى: يتدبرون معانيه ويتفهمون أغراضه ومراميه.

بينهم، إلا نزلتْ عليهم السَّكينة [١٨٥٦]، **وغَشِيَتْهُم الرحمة** [١٨٥٧]، **وحَفَّتْهم الملائكة**[١٨٥٨]، **وذَكَرهُم اللهُ فيمَنْ عنده**[١٨٥٩])[رواه مسلم وأبو داود وغيرهما]

(قال) النووى: وفى هذا دليل لفضل الاجتماع على تلاوة القرآن فى المسجد، وهو مذهبنا ومذهب الجمهور، وقال مالك: يكره وتأوَّله بعض أصحابه .. ويلحق بالمسجد فى تحصيل هذه الفضيلة الاجتماع فى مدرسة ورباط ونحوهما ـ إن شاء الله تعالى ـ ويدل عليه الحديث المطلق الذى يتناول جميع المواضع: **(لا يقعد قوم يذكرون الله عز وجل إلا حفَّتهم الملائكة)** الحديث[١٨٦٠].

فعلى الأخ المسلم .. والأخت المسلمة .. أن يلاحظا كل هذا .. وينفذاه .. حتى يكونا إن شاء الله من أهل هذا الخير الذى ينبغى عليهما أن يَحرِصَا على الفوز به .. والله ولى التوفيق،،

(١٢٧) ما هُوَ حَقُّ المسلمِ علَى المسلمِ .. يا رسولَ اللهِ؟

عن أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **(حَقُّ المسلمِ على المسلم خمسٌ: رَدُّ السلام، وعيادةُ المريضِ، واتباع الجنائز، وإجابة الدعوة، وتَشْميت العاطس)**. [رواه البخارى ومسلم وأبو داود وابن ماجه]

وفى رواية لمسلم: **(حَقُّ المسلم ستٌّ)** قيل: وما هُنَّ يا رسول الله ؟ قال: **(إذا لقيتَهُ فسلِّم عليه، وإذا دعاك فَأجبْه، وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عطس فحمد اللهَ فشمِّتْه، وإذا مرضَ فعُدْه، وإذا مات فاتَّبعه)**.

[رواه الترمذى والنسائى بنحو هذا]

(١٨٥٦) أى: ينزل عليهم السكون والطمأنينة والهيبة والوقار.

(١٨٥٧) يعنى: عمَّتهم وأحاطتهم.

(١٨٥٨) أى: أحدقت بهم وجلست حولهم.

(١٨٥٩) أى من الملائكة.

(١٨٦٠) انظر ص ٥٧٥ وما بعدها .. من (الترغيب والترهيب) ج٢ مع الهامش بتصرف وتعليقات.

ففى هذين الحديثين الشريفين يُجيبنا النبى ﷺ على هذا السؤال الهام الذى نوجهه إليه ـ حتى نعرف ما لنا وما علينا ـ بالنسبة لجميع إخواننا المسلمين من الحقوق أى الواجبات التى يثاب المسلم على فعلها ويعاقب على تركها .. فيقول: (حَقُّ المسلمِ على المسلم خمس):

(ردُّ السلام): وهو فرض عين من الواحد، وفرض كفاية من جماعة يُسلم عليهم .. (وذلك) لأن الله تبارك وتعالى أمر به فقال: ﴿**وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا**﴾ (١٨٦١).. وقد ورد فى السنة الترغيبُ فى إفشاء السلام بين المسلمين .

فعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا** ، (١٨٦٢) **ولا تؤمنوا حتى تَحابُّوا**(١٨٦٣)، **ألا أدُلُّكم على شىء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم** (١٨٦٤)).

[رواه مسلم وأبو داود والترمذى وابن ماجه]

(ويُستحب) أن يقول المبتدئ بالسلام: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. (فيأتى) بضمير الجمع وإن كان المُسلَّم عليه واحدًا .. (ويقول) المجيب: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته (فيأتى) بواو العطف فى قوله: وعليكم .

وعن عمران بن الحصَين رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: السلام عليكم، فرد عليه ثم جلس فقال النبى ﷺ: (**عَشْرٌ**) ثم جاء آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله، فرد عليه، فجلس، فقال: (**عِشْرون**) ثم جاء آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فردَّ فجلس، فقال: (**ثلاثون**).

[رواه أبو داود والترمذى وقال: حديث حسن]

(ومن آداب السلام) ما جاء فى نص حديث صحيح متفق عليه: عن

(١٨٦١) النساء: من الآية ٨٦.

(١٨٦٢) أى: حتى يكمل إيمانكم بالقيام بأعمال الإيمان.

(١٨٦٣) يعنى: لا يكمل إيمانكم حتى تسود المحبة بينكم، فيحب بعضكم بعضًا.

(١٨٦٤) يعنى: أشيعوه وأكثروا من إلقائه إحياءً للسنة.

أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (**يُسلِّم الراكبُ على الماشى، والماشى على القاعد، والقليلُ على الكثيرِ**) وفى رواية البخارى: (**والصغير على الكبير**).

(**وعيادة المريض**) أى: زيارته أثناء مرضه .. وهى واجبة حيث لا متعهد له .. وإلا فهى مندوبة. (وقد) ورد الترغيب فيها:

فعن أبى سعيد الخدرىِّ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (**عودوا المرضى**(١٨٦٥)، **واتبعوا الجنائز** (١٨٦٦) **تُذَكِّركم الآخرة**(١٨٦٧)).

[رواه أحمد والبزار وابن حبان فى صحيحه (وكذلك) رواه البيهقى]

وعن ثوبان ﷺ عن النبى ﷺ قال: (**إن المسلمَ إذا عادَ أخاه المسلمَ** (١٨٦٨) **لم يَزَلْ فى خُرفة** (١٨٦٩) **الجنة حتى يرجع . قيل: يا رسولَ الله وما خُرْفة الجنة؟ قال: جَنَاها** (١٨٧٠)) [رواه أحمد ومسلم واللفظ له والترمذى]

هذا، مع ملاحظة أنه من السنة إذا زُرتَ مريضًا أن تطلب منه أن يدعو لك:

فعن عمر بن الخطاب ﷺ قال: قال النبى ﷺ: (**إذا دخلتَ على مريض فمُرْه ـ أنْ ـ يدعُو لك** (١٨٧١)، **فإنَّ دعاءه كدعاء الملائكة** (١٨٧٢)).

[رواه ابن ماجه ورواته ثقات مشهورون]

وكذلك من السنة أن تدعو له بالوارد عن النبى ﷺ:

فعن ابن عباس ﷺ عن النبى ﷺ قال: (**مَن عَادَ مريضًا لم يحضُر أجلُه**(١٨٧٣)، **فقال عنده سبع مرات: أسأل الله العظيمَ ربَّ العرش العظيم**

(١٨٦٥) أى: زوروهم، والعيادة فى اللغة مطلق الزيارة ثم خُصت بزيارة المريض.

(١٨٦٦) أى: شيِّعوها سواء كان المشى أمامها أو خلفها .

(١٨٦٧) يعنى: أحوالها وأهوالها .. والأمر للندب.

(١٨٦٨) أى: زاره فى مرضه، وفى رواية: (مَن عاد مريضًا) .

(١٨٦٩) أى: ثمره .. كأنه فى بستان الجنة يقتطف من ثماره. وقيل: المراد بالخرفة هنا: الطريق.

(١٨٧٠) الجنا اسم لكل ما يُجنى من الثمر والعسل والذهب.

(١٨٧١) يعنى: التمس منه الدعاء .

(١٨٧٢) أى: فى قرب الاستجابة.

(١٨٧٣) أى: لم يقدر الله عز وجل له أن يموت فى هذا المرض.

أن يشفيك: إلا عافاهُ اللهُ من ذلك المرضِ[١٨٧٤])

[رواه أبو داود والترمذى وحسَّنه، والنسائى وابن حبان فى صحيحه وقال: صحيح على شرط البخارى]

(واتباع الجنائز)، أى: تشييعها والسير معها إلى المقبرة.. وهو فرض كفاية بالسنة وإجماع الأُمة (ويُستحب) للرجال اتباع الجنازة حتى تُدفن، وهو مُجمع عليه .. (ويجوز) المشى أمامها وخلفها وحيث شاء .. (والأفضل) عند مالك والشافعى وأحمد والجمهور المشى أمامها .. (لقول) ابن عمر ﷺ: (رأيت النبى ﷺ وأبا بكر وعمر يمشون أمام الجنازة) [أخرجه أحمد والأربعة] [١٨٧٥]

(وفى) رواية لأحمد عن ابن عمر أنه كان يمشى بين يدى الجنازة، وأن النبى ﷺ كان يمشى بين يديها وأبو بكر وعمر وعثمان ﷺ ..(وحكمة) ذلك أن المشيِّع شفيع، والشفيع يتقدم المشفوع له.. (وقال) الحنفيون والأوزاعى: الأفضل المشى خلفها .. وقد ورد فى كل هذا آثار تفيد بأن كل هذا جائز.

(ولا بأس) بالركوب لمشيِّع الجنازة عند الحنفيين . والأفضل المشى إلا لعذر لأنه أقرب إلى الخشوع وأليق بالشفاعة (ويكره) للراكب أن يتقدم الجنازة؛ لأنه لا يخلو من ضرر بالناس [١٨٧٦].

(وقد) ورد الترغيب فى تشييع الميت وحضور دفنه:

فعن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(مَن شهد الجنازةَ حتى يُصلَّى عليها فَلَهُ قيراطٌ، ومَن شهدها حتى تُدفَنَ فله قيراطان: قيل: وما القيراطان؟ قيل: مثل الجبلين العظيمين)** [متفق عليه]

(وإجابة الدعوة) أى: أنه إذا دعاك أخوك المسلم .. إلى وليمة عرس .. أو عقيقة .. مثلاً .. فإنه يجب عليك أن تُلَبِّىَ دعوته .. ولو لم تأكل .. لأن هذا من حقه عليك .. على شريطة أن تكون الدعوة خاليةً من المنكرات.. وإلاَّ فإنه يحرم

(١٨٧٤) ولا سيما إذا كان العائد هذا صالحًا .. فإن الله سبحانه وتعالى سيحقق الخير على يديه إن شاء الله تعالى .

(١٨٧٥) وهم: أبو داود والترمذى والنسائى، وابن ماجه.

(١٨٧٦) ارجع إلى تفصيل كل هذا فى الجزء السابع من (الدين الخالص) ص ٣٣٦ وما بعدها.

عليك أن تُلَبِّىَ دعوته .. لأن ذهابك إلى هذا المكان الذى هو مكان الوليمة ـ الذى فيه المخالفات ـ سيكون مشاركة فى الإثم.. ولاسيَّما إذا كنت رَجُلَ دِين [١٨٧٧].

(وقد) ورد الترغيب فى تلبية الدعوة، والترهيب من عدم الإجابة:

فعن عبدالله بن عمر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **(إذا دُعِىَ أحدكم إلى الوليمة فليأتها)** [١٨٧٨] [رواه البخارى ومسلم وأبو داود]

وعن أبى هريرة ﷺ أنه كان يقول: **(شَرُّ الطعامِ طعامُ الوليمة يُدعى إليها الأغنياءُ، ويُتْرَكُ المساكين، ومَنْ لم يَأْتِ الدعوةَ، فقد عصى اللهَ ورسولَه)**

[رواه البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى وابن ماجه موقوفًا على أبى هريرة]

(والمراد) أنها تكون شر الطعام إذا خُصَّ الأغنياء وتُرك الفقراء .. ولهذا قال ابن مسعود ﷺ: إذا خُصَّ الغنى وتُرك الفقير أُمرنا أن لا نُجيب [١٨٧٩] .

وقوله: (ومن لم يأت الدعوة) أى: لم يُجِبْها ولم يعتذر عنها بعذر مقبول .

وقوله: (فقد عصى اللهَ ورسوله): جواب الشرط والتعبير بالعصيان دليل على وجوب إجابة الدعوة، وهى من حقوق المسلم على المسلم . (وجملة): (ومن لم يأت): الخ حال، والمعنى يُدعى الأغنياء، والحال أن الإجابة واجبة، فيكون دعاؤه سببًا لأكل المدعو شر الطعام.. قاله فى الفتح .. ولكن الظاهر أنها مستأنفة أُريد بها بيان وجوب إجابة الدعوة على الرغم من كونها شر الطعام.

وعن جابر بن عبدالله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(إذا دُعِىَ أحدكم إلى طعام فليُجِبْ** [١٨٨٠]**، فإن شاء طَعِمَ، وإن شاء ترك** [١٨٨١]**)**

[رواه مسلم وأبو داود والنسائى وابن ماجه]

(١٨٧٧) وقد رأى بعضهم.. أنه إذا كان يرى أنه لو ذهب إلى هناك ربما يستطيع أن يغير المنكر.. فإنه لا مانع من هذا .. والله أعلم.

(١٨٧٨) أى: فليحضرها وليُجِبْ الدعوة، وظاهر الأمر الوجوب.

(١٨٧٩) قال ابن بطال: (وإذا ميز الداعى بين الأغنياء والفقراء فأطعم كُلاً على حدة لم يكن به بأس وقد فعله ابن عمر) انظر هامش (الترغيب والترهيب) ج٣ ص ٢٦٣.

(١٨٨٠) ولام الأمر هنا تفيد الوجوب.

(١٨٨١) أى: هو حر فى الأكل ولكن يجيب الدعوة ولابد.. قال نافع: وكان عبدالله يأتى الدعوة فى العرس وغير العرس وهو صائم.

وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: **(إذا دَعَا أحدُكُم أخاه فليُجِبْ عُرسًا كان أو نحوه)** (١٨٨٢) [رواه مسلم وأبو داود]

(وفي) رواية لمسلم: **(إذا دُعيتُم إلى كُراعٍ (١٨٨٣) فأجيبوه)**.

(وتشميت العاطس) أي: أن تقول له يرحمك الله .. بشرط أن يقول إذا عطس: (الحمد لله)

ففي الحديث: **(مَن عَطَس فحَمِد اللهَ فشمِّتوه، فإنْ لم يحمدِ اللهَ فلا تُشَمِّتُوه)**.. قال في النهاية: (التشميت بالشين والسين الدعاء بالخير والبركة، والمعجمة أعلاهما .. يقال: شمَّتَ فلانًا وشمَّتَ عليه تشميتًا فهو مُشمِّت، واشتقاقه من الشوامت وهي القوائم، كأنه دعا للعاطس بالثبات على طاعة الله تعالى. وقيل معناه: أبعدك الله عن الشماتة وجنَّبك ما يشمت به عليك) اهـ.

ومن السنة بعد أن تقول له: (يرحمك الله) أن يقول لك: **(يهديكم الله ويُصلحُ بالَكُم)**.

وأما السادسة الواردة في الرواية الثانية، وهي: (وإذا استنصحك فانصح له)، فإن معناها أنه إذا طلب منك أخوك المسلم نصيحتك أو مشورتك في أي أمر يهمه .. فإنه ينبغي عليك أن لا تبخل عليه بنصيحتك أو مشورتك .. لأن هذا من أهم حقوقه عليك .. (وقد) يقع في مصيبة أو مشكلة بسبب عدم نصحك له .. فتُسأل عن هذا أمام الله سبحانه وتعالى.

فعن أبي رقية تميم بن أوس الداريِّ رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:

(الدينُ النصيحة) قلنا: لمن؟ قال: **(لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمينَ وعامَّتهِمْ)** [رواه مسلم]

قال ابن بطال ـ رحمه الله تعالى ـ في هذا الحديث(١٨٨٤): إن النصيحة تُسمَّى دينًا وإسلامًا، وإن الدين يقع على العمل كما يقع على القول، قال: والنصيحة

(١٨٨٢) أي: سواء كانت الوليمة وليمة عُرس أو مثله كختان أو قدوم غائب الخ.

(١٨٨٣) الكراع: بضم الكاف من البقر والغنم.. وهو مستدق الساق.

(١٨٨٤) كما جاء في شرح الأربعين النووية (الحديث السابع) باختصار.

فرض يجزىء فيه من قال به، ويسقط عن الباقين .. قال: والنصيحة واجبة على قدر الطاقة إذا علم أنه يُقبل نصحه ويطاع أمره، وأمِن على نفسه المكروه، فإن خشى أذى فهو فى وُسعه، والله تعالى أعلم .

فإن قيل: ففى صحيح البخارى أنه ﷺ قال: **(إذا استنصح أحدكم أخاه فلينصح له)** وهو يدل على تعليق الوجوب بالاستنصاح لا مطلقًا، ومفهوم الشرط حجة فى تخصيص عموم المنطوق .. (فجوابه) أنه يمكن حمل ذلك على الأمور الدنيوية كنكاح امرأة، ومعاملة رجل ونحو ذلك، والأول يُحمل بعمومه فى الأمور الدينية التى هى واجبة على كل مسلم .. والله تعالى أعلم .

فعلى الأخ المسلم .. والأخت المسلمة .. أن يلاحظا كل هذا .. وينفذاه حتى يكونا إن شاء الله تعالى من الذين يعرفون ما لهم وما عليهم بالنسبة لإخوانهم المسلمين ذكورهم وإناثهم .. (بل) وحتى يكونا بسبب هذا من المسلمين حقًا .. بتلك الصورة الإيجابية التى نفتقدها فى هذا الزمان .. والله ولى التوفيق،،

(١٢٨) بِمَاذَا تَأْمُرُنَا .. وَعَنْ مَاذَا تَنْهَانَا .. يَا رَسُولَ اللهِ؟

عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: **(آمركُم بأربع، وأنهاكُم عن أربع: آمركُم بالإيمان بالله وحده . أتدرون ما الإيمانُ بالله وحده؟ شهادةُ أن لا إله إلا اللهُ، وأن محمدًا رسول الله، وإقامُ الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيامُ رمضان، وأن تُؤدُّوا لله خُمُس ما غنمتُم. وأنهاكُم عن : الدبَّاءِ، والنقيرِ، والحنْتَمِ، والمُزَفَّتِ . احفظوهُنَّ وأخبروا بِهِنَّ مَن وراءكُم)**

[أخرجه أبو داود الطيالسى، والبخارى، ومسلم، وأبو داود، والترمذى، والحاكم فى المستدرك، وابن حبان]

وعن عمر بن مالك الأنصارى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:**(آمُرُكُم بثلاث، وأنهاكم عن ثلاث: آمركُم أن لا تُشركُوا بالله شيئًا، وأن تعتصموا بالطاعة جميعًا حتى ياتيكُم أمرُ اللهِ وأنتم على ذلك، وأن تُناصحُوا وُلاَةَ الأمر من**

الذين يأمرونكم بأمر الله. وأنهاكُم عن: قيل وقال، وكثرةِ السؤال، وإضاعةِ المال). [أخرجه الطبرانى فى الكبير]

وعن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **(آمركم بثلاث، وأنهاكُم عن ثلاث: آمركم أن تعبُدوا الله ولا تُشركوا به شيئًا، وأن تَعتَصِمُوا بحبْلِ الله جَميعًا ولا تَتَفَرَّقُوا، وتَسْمَعُوا وتطيعُوا لمن وَلاَّهُ اللهُ أمركُم. وأنهاكم عن: قيل وقال، وكثرةِ السؤالِ، وإضاعة المال).**

[أخرجه ابن حبان، وأبو نعيم فى الحلية، وابن جرير]

ففى هذه الأحاديث الشريفة الثلاثة .. (يأمرنا) حبيبنا المصطفى صلوات الله وسلامه عليه (وينهانا) .. (وإذا) كان الله ـ تبارك وتعالى ـ يقول فى قرآنه:

﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (١٨٨٥)

ويقول: **﴿مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾** (١٨٨٦)

ويقول: **﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ۝ ذَٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا﴾** (١٨٨٧).

(فإننا) لابُـدَّ كمؤمنين صادقين ـ إن شاء الله ـ أن نقول : سمعًا وطاعـة ، يا رسول الله ..

(فعن) أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال:**(دَعُونى ما تركْتُكُم، إنما هلك مَن كان قبلكُم بسؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكُم عن شىء فاجتنبوهُ، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم).** [رواه البخارى]

(وعن) أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **(كُلُّ أُمَّتِى يدخلونَ الجنَّةَ إلاَّ**

(١٨٨٥) الحشر: ٧ .

(١٨٨٦) النساء: ٨٠.

(١٨٨٧) النساء: ٦٩، ٧٠.

مَن أبَى) قالوا: يا رسول الله ومَنْ يأبى؟ قال: **(من أطاعنى دخلَ الجنةَ، ومَن عَصانى فقَدْ أبَى)** [رواه البخارى]

(وكيف) لا نطيعه صلوات الله وسلامه عليه .. والله تعالى يقول: ﴿**فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾ (١٨٨٨)، ويقول: ﴿**إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ (١٨٨٩).

(هذا) وإذا كان لى بعد هذا التقديم الهام: أن أبدأ - وبإيجاز - فى توضيح المعنى المراد من الأوامر الواردة فى الأحاديث الثلاثة - أو الروايات الثلاثة - والتى أهمها (بل) وأولها دائمًا وأبدًا فى ترتيب الأعمال الصالحة:

(شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله): فإن هذه الأولى هى الركن الأول من أركان الإسلام الخمس .. التى من يأتى بها فقد تم إسلامه، كما أن البيت يتم بأركانه التى هى أصول البناء .. (وأما) التتمات والمكمِّلات كبقية الواجبات وسائر المستحبات .. فهو زينة البناء.

(فعن) عبدالله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(بُنِى الإسلامُ على خمسٍ: شهادة أنْ لا إله إلا اللهُ وأن محمدًا رسول الله، وإقامِ الصلاةِ، وإيتاءِ الزكاةِ، وحَجِّ البيت، وصومِ رمضان)**

[رواه البخارى ومسلم]

وهذا البناء المشار إليه فى الحديث بناء معنوى، شُبِّه بالحسِّىِّ .. ووجه التشبيه أن البناء الحسِّىَّ إذا انهدم بعض أركانه لم يتم .. فكذلك البناء المعنوى .. كما يشير الرسول إلى هذا فى قوله: **(الصلاةُ عمادُ الدِّين، فمَنْ أقامها فقد أقامَ الدِّين، ومَنْ تركها فقَدْ هدم الدين)**

ولله دَرُّ من قال:

والبيتُ لا يُبْتَنى إلا له عَمَدٌ ... ولا عِمادٌ إذا لم تُرسَ أوتاد

(١٨٨٨) النساء: ٦٥ .

(١٨٨٩) النور: ٥١ .

(وأما) عن المعنى المراد من الشهادتين، فهو: أن تُقرَّ وتعترف عن علم وإذعان بأنه لا معبود بحق إلا الله، وأن تُقرَّ وتعترف عن علم وإذعان بأن محمدًا مُرسل من ربه بالحق، وأن كُلَّ مَا بلَّغ عن ربه حق وصدق (وأن) تكون بعد أن تُقرَّ بهذا على أساسٍ من الصدق الإيمانى: مؤكدًا لهذين الإقرارين (بالركن الثانى)، وهو إقام الصلاة، أى: المداومة عليها، وأداؤها فى أوقاتها بكامل هيئتها وخُشوعها وطُمأنينتها.

(وبالركن الثالث) وهو الزكاة، وهى مال مخصوص يُؤخذ من مال مخصوص إذا بلغ قدرًا مخصوصًا .. وهى اسم لما يُخْرِجه الإنسان من حق الله تعالى إلى الفقراء والمساكين(١٨٩٠) ..

(وبالركن الرابع) وهو الصوم ـ فى شهر رمضان المبارك ـ عن شهوتى البطن والفرج يومًا كاملاً من طلوع الفجر الصادق إلى غروب الشمس ـ وهذا هو الصيام المفروض على المكلف ـ وله أحكام لابد أن يقف الأخ المسلم عليها .

(وبالركن الخامس) وهو الحج الذى هو عبادة ذات إحرام، وطواف بالبيت ـ الحرام ـ سبعًا، وسعى بين الصفا والمروة سبعًا، ووقوف بعرفة جزءٍ من ليلة النحر .. وله أحكام لابد كذلك أن يقف الأخ المسلم عليها .

(وأما عن) المعنى المراد من قول الرسول ﷺ **(وأن تُؤَدُّوا لله خُمس ما غَنِمْتُم)**، فهو المشار إليه فى قول الله ـ تبارك وتعالى ـ فى سورة الأنفال: **﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ﴾** أى: واعلموا ـ أيها المؤمنون ـ أن ما غنمتموه من غنيمة، قليلاً كان أو كثيراً حتى الخيط والمخيط **﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ﴾** أى: فإن للرسول ولمن ذكر الله تعالى الخُمُسَ منه، والباقى يُوزَّع على الغانمين، واسم الله مفتاح كلامٍ؛ لأن الله تعالى هو مالك الدنيا والآخرة وما فيهما (١٨٩١)

(١٨٩٠) كما أشار الله تعالى إلى هذا فى الآية رقم ٦٠ من سورة التوبة.

(١٨٩١) اتفق العلماء على أن الغنيمة تقسم خمسة أقسام، فيُعْطَى الخمس لمن ذكر الله تعالى فى هذه الآية، والباقى يوزع على الغانمين. ويقسم الخمس خمسة أسهم، سهم للرسول، وسهم لذوى القربى .. الخ. وإنما ذُكر اسم الله على جهة التعظيم .. فهو افتتاح كلام كما رجح الطبرى؛ لأن لله الدنيا والآخرة.

﴿وَلِذِي الْقُرْبَىٰ﴾ وهُم قرابةُ الرسول ﷺ من بنى هاشم وبنى المطلب ﴿وَالْيَتَامَىٰ﴾ أى: أطفال المسلمين الذين هَلَكَ آباؤهم ﴿وَالْمَسَاكِينِ﴾ أى: أهل الفاقة والحاجة من المسلمين ﴿وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ أى: المنقطع فى سفره ﴿إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ﴾ أى: إن كنتم أقررتم بوحدانية الله ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ﴾ أى: وبما أنزلنا على عبدنا محمد ﷺ يوم بدر، يوم فَرَّقَ الله بين الحق والباطل ﴿يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾ أى: جمع المؤمنين وجمع الكافرين ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١٨٩٢) أى: لا يمتنع عليه شىء أراده .

(وأما) عن المراد من قول الرسول ﷺ - فى الحديث الثانى - (آمركُم أن لا تُشركوا بالله شيئًا) أى: فى عبادتكم له سبحانه وتعالى .. لأن الله تعالى غَنِىٌّ عن الشرك .. وإذا لم يكن العمل خالصًا لوجه الله - تبارك وتعالى - فإن الله تعالى يرفضه .

فهو القائل سبحانه: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (١٨٩٣) وقال: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ ..﴾ (١٨٩٤) .

(فليحرص) الأخ المسلم على أن يكون من أهل التوحيد الخالص - وهو إفراد الله تعالى بالعبادة - وإلاَّ فإن الله تعالى لن يغفر له .. قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ (١٨٩٥) .

(وأنْ تعتصِمُوا بالطَّاعةِ جميعًا حتَّى يأتيكُم أمرُ الله وأنتم على ذلك) أى: وأن تعتصموا بالله، بمعنى أن تطيعوا الله ورسوله وأولى الأمر منكم - ما دمتم تُؤمرون من جانبهم بطاعة الله - وإلا فإنه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق.

(١٨٩٢) سورة الأنفال: ٤١، والتفسير من مختصر تفسير الطبري .. بتصرف.

(١٨٩٣) الكهف: من الآية ١١٠ .

(١٨٩٤) الأنعام: من الآية ١٦٢، ١٦٣ .

(١٨٩٥) النساء: ٤٨، وفى الآية رقم ١١٦ من سورة النساء - أيضًا -: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ . (اللهم) إلا إذا تاب إلى الله تعالى وعاد إلى التوحيد، كما تشير الآية رقم ٦٨، ٦٩، ٧٠ من سورة الفرقان.

قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ (١٨٩٦) وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾ (١٨٩٧).

وقال: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (١٨٩٨) أى: فقد وُفِّق إلى طريق واضح، هو الإسلام، ما دام قد استمسك بدين الله وطاعته.

(وأنْ تعتصِمُوا بحبْلِ الله جميعًا وَلا تتفرَّقوا)، قال تعالى: ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا**﴾ أى: وتمسَّكوا بدين الله الذى أمركم به، وعهده الذى عهده إليكم، من الأُلْفَة والاجتماع على الحق ﴿**وَلَا تَفَرَّقُوا**﴾ أى: لا تتفرقوا عن دينه، وعن الائتلاف والاجتماع على طاعته ﴿**وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ**﴾ أى: حين كنتم أعداءً فى جاهليتكم، يقتل بعضكم بعضًا، فألَّف الله بين قلوبكم بالإسلام ﴿**فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا**﴾ أى: فأصبحتم بالإسلام إخوانًا متصادقين، لا ضغائن ولا تحاسُد ﴿**وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا**﴾ أى: بالإيمان الذى هداكم له ﴿**كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**﴾ (١٨٩٩).

ومعنى **(حتَّى يأتيكم أمرُ الله وأنتُم على ذلكَ)** أى: على ذلك الاعتصام بطاعة الله، أو بحبل الله .. حتى يقضى الله أمرًا كان مفعولاً .. وأما عن المعنى المراد من قول الرسول ﷺ:**(وأن تناصحُوا ولاةَ الأمر من الذين يأمرونكم بأمر الله)** فهو المشار إليه فى الحديث الشريف الذى ورد:

(عن) أبى رُقَيَّة تميم بن أوس الدَّارىِّ ﷺ أن النبىﷺ قال: **(الدين النصيحة)** قُلْنا : لمن ؟ قال : **(لله وَلكتَابه ولرسُوله ولأئمة المسلمينَ وعَامَّتهم)** [رواه مسلم]

(١٨٩٦) الرد إلى الله تعالى أى: الرجوع إلى كتابه، والرد إلى الرسول أى: الرجوع إلى سنته صلوات الله وسلامه عليه.

(١٨٩٧) النساء: ٥٩ .

(١٨٩٨) آل عمران: ١٠١.

(١٨٩٩) آل عمران: ١٠٣ والتفسير من مختصر تفسير الطبرى بتصرف.

(فقد) ذكر الإمام النووى فى شرح الجزئية التى ندور حولها ـ فى الحديث ـ أن المراد من قول الرسول ﷺ: **(ولأئمَّةِ المسلمينَ)** [١٩٠٠]: فمعاونتهم على الحق، وطاعتهم فيه، وأمرهم به، ونهيهم وتذكيرهم برفق، وإعلامهم بما غفلوا عنه، ولم يبلغهم من حقوق المسلمين وترك الخروج عليهم، وتأليف قلوب المسلمين لطاعتهم . قال الخطابى: ومن النصيحة لهم الصلاة خلفهم، والجهاد معهم، وأداء الصدقات إليهم، وترك الخروج بالسيف عليهم إذا ظهر منهم حيف، أو سوء عِشْرة، وألا يُغروا بالثناء الكاذب عليهم، وأن يُدعى لهم بالصلاح[١٩٠١]

(وأما) عن المنهيات ـ فى الأحاديث الثلاثة ـ فهى:

(الدُّبَّاء) أى: القرع، والمراد الأوعية التى تُتَّخذ منه للانتباذ فيها .

(والنقير) وهو: خشب منقور يُنتبذ فيه.

(والحنْتَمُ) وهى: جرار مدهونة خضر كانت تُحمل فيها الخمر.

(والمُزَفَّت) وهو: المطلىّ بالزفت، وكلها آنية يشتد النبيذ [١٩٠٢] فيها بسرعة .. لذلك نُهِى عن الانتباذ فيها .

(وقيل وقال) أى: حكاية أقاويل الناس، كقال فلان كذا، وقيل كذا .. اللهم إلا إذا كان هذا الذى يقال علمًا نافعًا .. لا لغوًا باطلاً .. لأن هذا ليس من أخلاق المؤمنين الذين قال الله فى وصفهم: ﴿**وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣**﴾ [المؤمنون]، واللغو هو كل ما لا يُعتد به من الأقوال والأفعال .

(وكثرة السؤال) أى: المسائل التى لا حاجة إليها، والتى قد لا تؤدى إلا إلى خلافات ومشاحنات .

(وإضاعة المال) أى: فى إنفاقه فى أبواب غير مشروعة، وكان من الواجب عليه أن ينفقه فى الخير؛ لأنه نعمة سيُسأل عنها يوم القيامة.

(١٩٠٠) الحديث فى الأربعين النووية رقم ٧.

(١٩٠١) ارجع إلى شرح الحديث بتمامه فى الأربعين النووية ص ٢٨، ٢٩ .

(١٩٠٢) أى: الخمر .

فعلى الأخ المسلم .. والأخت المسلمة .. أن يلاحظا كل هذا .. وينفذاه تنفيذًا إيجابيًا بمعنى أن ينفذا الأوامر ويجتنبا المنهيات .. (بل) وعليهما أن يُنَفِّذَا أمر النبى ﷺ فى ختام الحديث الأول، وهو: **(احفظوهُنَّ وأخبروا بِهِنَّ مَن وراءكم)**، والله ولى التوفيق،،

(١٢٩) مَنْ هو المسلمُ .. ومَن هو المهاجرُ .. يا رسولَ الله؟

عن أبى موسى رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، أىُّ المسلمين أفضل؟ قال:**(من سَلِمَ المسلمونَ من لسانه ويده)** [رواه البخارى ومسلم، والنسائى]

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبى ﷺ قال:

(المسلمُ مَن سَلِمَ المسلمونَ من لسانه ويده، والمهاجِرُ مَنْ هجر ما نهى الله عنه) . [رواه البخارى ومسلم]

ففى هذين الحديثين الشريفين الصحيحين يشير النبى ﷺ إلى أهم ما ينبغى على المسلم ـ ذكرًا أو أنثى ـ أن يلاحظه.. (بل) وينفذه .. حتى يكون مسلمًا لا مُتَمسلِمًا.. (وأعنى) بهذا أن يكون مسلِمًا بمعنى الكلمة .. (وذلك) لن يكون إلا إذا (سَلِمَ المسلمون من لسانه ويده) .. (وهذا) الذى سيفعل هذا، هو أفضل المسلمين .. أى: الذى جمع إلى أدائه لحقوقه تعالى .. أداء حقوق المسلمين .. (أو) أنه هو الكامل فى إسلامه .. الذى يستحق أن يُسَمَّى مسلمًا .. (وأيضًا) لأن أفضل خصال الإسلام .. هو حفظ اللسان واليد من التعرُّض بالأذى للمسلمين، فلا يغتاب أحدًا، ولا يمشى بنميمة، ولا يشهد زورًا، ولا يقول هُجْرًا، ولا يسبُّ أحدًا، ولا يضرب بيده إنسانًا، ولا يسرق بها مالاً، ولا يشير بها استهزاءً .. الخ (لأن) كل هذا المشار إليه ـ أعلاه ـ ليس من أعمال المسلمين.

(فعن) أبى هريرة رضي الله عنه قال:قال رسول الله ﷺ: **(أتدرون ما الغيبة؟)**(١٩٠٣)

(١٩٠٣) يقال: غابه غيبة واغتابه اغتيابًا: عابه وذكره بما فيه من السوء.

قالوا: الله ورسوله أعلم .قال: (**ذِكْرُكَ أخاكَ بما يكره**) [١٩٠٤] قيل: أرأيتَ إن كان فى أخى ما أقول [١٩٠٥]؟ قال: (**إنْ كانَ فيه ما تقولُ فقد اغتبتَهُ ، وإنْ لم يكُنْ فيه ما تقولُ فقد بَهتَّه** [١٩٠٦]) .

[رواه مسلم وأبو داود والترمذى والنسائى]

(وعن) جابر بن عبدالله ﷺ قال: كنا مع النبى ﷺ فارتفعتْ ريح مُنتنة، فقال رسُولُ الله ﷺ: (**أتدرون ما هذه الريح؟ هذه رِيحُ الذين يغتَابُون المؤمنين**[١٩٠٧]) . [رواه أحمد وابن أبى الدنيا، ورواة أحمد ثقات]

(ورُوِىَ) عن أبى هريرة ﷺ قال: كنا عند النبى ﷺ فقام رجل[١٩٠٨]، فقالوا: يا رسول الله ما أعجز فلانًا [١٩٠٩] أو قالوا: ما أضعف فلانًا، فقال النبى ﷺ:(**اغتبتُم صَاحِبكُم وأكلتُم لحمه**) [رواه أبو يَعلى والطبرانى] (ولفظه): أن رجلاً قام من عند النبى ﷺ فَرأوْا فى قيامه عَجْزًا ، فقالوا : ما أعجز فلانًا ؟ فقال رسول الله ﷺ: (**أكلتُم أخاكُمْ واغتبْتموه**)

(وهذا) المعنى الأخير، هو المشار إليه فى قول الله تعالى:﴿**وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ**﴾[●] .

وأما عن النميمة .. فقد ورد فيها:

(عن) حذيفة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**لاَ يدخُل الجنة قَتَّات**)

[رواه البخارى ورواه مسلم بلفظ: نمام]

(وعن) ابن عباس ﷺ قال: مَرَّ النبى ﷺ بقبرين فقال: (**إنَّهما ليُعذَّبان، وما**

(١٩٠٤) أى: بالذى يكره أن يُذكر به مع أنه موجود فيه .

(١٩٠٥) أى: هل يُعد غيبة أيضًا .

(١٩٠٦) يعنى: قذفته بالباطل وافتريت عليه الكذب .

(١٩٠٧) والمراد بهم المنافقون.

(١٩٠٨) يعنى: من المجلس ولم يذكر اسمه.

(١٩٠٩) من العجز وهو ضد القوة.

(●) الحجرات من الآية: ١٢.

يعذَّبان فى كبير . أما أحدُهما فكانَ لا يستتر [١٩١٠] مِنَ البول، وأما الآخر فكانَ يمشِى بين الناسِ بالنميمة).

[الحديث رواه البخارى ومسلم فى الصحيحين]

(وهذا) المعنى هو المشار إليه فى قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ (●).

وأما عن شهادة الزور .. فقد ورد فيها:

(عن) أبى بكر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (ألا أُنَبِّئُكُم بأكبر الكبائر؟) قلنا: بلى يا رسول الله . قال: (الإشراك بالله، وعقوقُ الوالدين) وكان مُتَّكئًا فجلس فقال: (ألا وقولَ الزُّور، وشهادة الزور) فما زال يُكَرِّرُها حتى قلنا: ليته سكتَ [١٩١١] [متفق عليه]

(وهذا) الحديث يشير إلى جُرم قول الزور، وشهادة الزور.. وما ينتج عنهما .. من خراب للبيوت، وضياع للحقوق .. وربما من قتل للنفوس .. (ولهذا) فقد قال الله ـ تبارك وتعالى ـ فى وصف المؤمنين: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾ (●●).

كما قال تعالى آمرًا باجتناب قول الزور: ﴿.. وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ (●●●).

وأما عن الهُجر [١٩١٢] فى القول .. فإن المراد به هو ما ورد

(عن) جابر بن سَمُرة ﷺ قال: كنتُ فى مجلس فيه النبى ﷺ، وسَمُرة، وأبو أُمامة، فقال: (إنَّ الفُحشَ والتَّفَحُّشَ، ليسَا من الإسلام فى شىء، وإنَّ أحسنَ الناسِ إسلامًا أحسنُهم خُلُقًا).

[رواه أحمد والطبرانى، وإسناد أحمد جيد، ورواته ثقات]

(١٩١٠) أى: لا يستتره.

(●) الأحزاب : ٥٨.

(١٩١١) أى: حتى تمنينا أن يكون سكت رأفة به وشفقة عليه ﷺ.

(●●) الفرقان: ٧٢.

(●●●) الحج: ٣٠.

(١٩١٢) الهُجر بضم الهاء وسكون الجيم: رَدِىءُ الكلام وفُحشُه.

قال فى النهاية: (الفاحش ذو الفُحش فى كلامه وفعاله، والمتَفحِّش الذى يتكلف ذلك ويتعمده، وكل ما يشتد قبحه من الذنوب والمعاصى فاحشة).

ولهذا، فقد ورد: (عن) أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (**إنكم لَنْ تَسَعُوا الناسَ بأموالكُم، ولكن يَسَعُهم منكم بَسْطُ الوجه** (١٩١٣)، **وحُسْنُ الخُلُق**) [رواه أبو يعلى، والبزار (١٩١٤)، من طرق أحدها حسن جيد]

وأما عن السَّبِّ واللَّعْن .. فقد ورد فيه: (عن) ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (**سِبَابُ المسلم** (١٩١٥) **فُسُوقٌ** (١٩١٦)، **وقتَالهُ كُفْر** (١٩١٧)) .
[رواه البخارى ومسلم والترمذى، والنسائى، وابن ماجه]

قال النووى: (معناه أن إثم السباب الواقع من اثنين مختص بالبادئ منهما كله، إلا أن يتجاوز الثانى قدر الانتصار، فيقول للبادئ أكثر مما قاله، فلا يكون الإثم على البادئ فقط بل عليهما، وفى هذا جواز الانتصار ولا خلاف فى جوازه، وقد تظاهرت عليه دلائل الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿**وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ**﴾ (١٩١٨)، وقال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ**﴾ (١٩١٩).

ومع هذا، فالعفو والصبر أفضل .. قال تعالى: ﴿**وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ**﴾ (١٩٢٠)، وفى الحديث: (**ما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًّا** (١٩٢١)) . ثم يقول: واعلم أن سِباب المسلم بغير حق حرام كما قال عليه السلام: (**سباب**

(١٩١٣) أى: طلاقته وبشاشته.

(١٩١٤) وكذا رواه الحاكم والبيهقى، وقال العزيزى: إسناده حسن.

(١٩١٥) أى: سبُّه وشتمه.

(١٩١٦) أى: خروج عن طاعة الله عز وجل لأنه نهى عن ذلك، فقال تعالى: ﴿**وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ**﴾ [الحجرات: ١١].

(١٩١٧) ففى الحديث: (لا ترجعوا بعدى كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض) حديث صحيح.

(١٩١٨) الشورى: ٤١ .

(١٩١٩) الشورى: ٣٩ .

(١٩٢٠) الشورى: ٤٣ .

(١٩٢١) وهو حديث صحيح إن شاء الله .

المسلم فسوق) ولا يجوز للمسبوب أن ينتصر إلا بمثل ما سَبَّه ما لم يكن كَذِبًا، أو قذفًا، أو سَبًا لأسلافه .. وإذا انتصر المسبوب استوفى ظلامته وبرئ الأول من حقه، وبقى عليه إثم الابتداء . ا هـ . (١٩٢٢) .

(وعن) عبدالله بن عمرو ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(إن من أكبر الكبائر(١٩٢٣) أن يلعنَ الرجُل والديه)** قيل: يا رسول الله: وكيف يلعنُ الرجُل والديه؟ قال: **(يسُبُّ أبا الرجل فيسُبُّ أباهُ، ويَسُبُّ أُمَّهُ فيَسُبُّ أُمَّهُ** (١٩٢٤)**)**

[رواه البخارى وغيره]

(وعن) ابن مسعود ﷺ قال: قال النبى ﷺ: **(لا يَكُون المؤمنُ لَعَّانًا)** (١٩٢٥)

[رواه الترمذى، وقال: حديث حسن غريب]

(وعن) أبى الدرداء ﷺ قال: قال النبى ﷺ: **(لا يكون اللَّعَّانون شُفَعَاءَ، ولا شُهَدَاء يوم القيامة)** (١٩٢٦) [رواه مسلم، وأبو داود لم يقل: يوم القيامة]

وأما عن ضرب الإنسان والاعتداء عليه باليد .. فقد ورد فيه:

(عن) أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:**(مَن ضَرَبَ سَوْطًا ظُلْمًا(١٩٢٧) اقتُصَّ منه يوم القيامة** (١٩٢٨)**)**.

[رواه البزار والطبرانى بإسناد حسن]

(وعن) هشام بن حكيم بن حزام ﷺ أنه مَرَّ بالشام على أُناسٍ من الأنباط، وقد أُقيمُوا فى الشمس، وصُبَّ على رءوسهم الزيت(١٩٢٩)، فقال: ما هذا؟(١٩٣٠)

(١٩٢٢) ارجع إلى هامش الترغيب والترهيب ج٣ ص ٧٢٥ (باب الترهيب من السباب واللعن..) .

(١٩٢٣) أى: من أقبحها وأفحشها.

(١٩٢٤) قال فى الفتح: (استبعاد من السائل لأن الطبع المستقيم يأبى ذلك..)

(١٩٢٥) يعنى: أن هذا ليس من شأن المؤمن ولا من خُلقه، فمن فعله كان ناقص الإيمان مدخوله.

(١٩٢٦) يعنى: لا يُعقل أن يبلغ اللعان مرتبة الصديقية التى هى أفضل المراتب بعد النبوة.

(١٩٢٧) أى: حال كونه ظلمًا متعديًا .

(١٩٢٨) يعنى: مكَّن الله المضروب أن يضربه مثله وإن كان المضروب عبده أو خادمه.

(١٩٢٩) فإذا حميت الشمس على الزيت كادت رءوسهم تلتهب من شدة الحر.

(١٩٣٠) يعنى: لماذا فعل بهم ذلك؟

قيل: يُعذَّبون فى الخَراج [١٩٣١] ـ وفى رواية: حُبِسُوا فى الجزْية ـ فقال: أشْهَدُ لَسَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقول: (**إن الله يُعَذِّبُ الذين يُعَذِّبون الناسَ فى الدنيا**)، فدخل على الأمير فحدَّثه، فأمر بهم فَخُلُّوا[١٩٣٢]. [رواه مسلم وأبو داود، والنسائى] والأنباط: فلاحون من العجم ينزلون بالبطائح بين العراقين.

وإذا كان هذا بالنسبة للضرب بالسوط أو باليد .. فالقتل أشنع:

(فعن) البراء بن عازب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (**لَزَوالُ الدنيا أهونُ على الله من قَتْل مؤمن بغير حَقٍّ**) [رواه ابن ماجه بإسناد حسن، ورواه البيهقى والأصبهانى] . (وزاد فيه): (**ولو أن أهلَ سَمَواته، وأهلَ أرضه اشتركُوا فى دَم مؤمن لأدخلهم اللهُ النارَ**) . (وفى رواية للبيهقى): قال رسول الله ﷺ: (**لَزوال الدنيا جميعًا أهونُ على الله من دَمٍ سُفِك بغير حَقٍّ**) .

وأما عن السرقة باليد .. فقد ورد فيها:

(عن) عائشة رضي الله عنها أن قريشًا [١٩٣٣] أهَمَّهُم [١٩٣٤] شأن المخزومية [١٩٣٥] التى سرقت [١٩٣٦]، فقالوا: مَن يُكلِّمُ فيها رسول الله ﷺ[١٩٣٧] ؟ ثم قالوا: مَنْ يجترئُ [١٩٣٨] عليه إلا أُسَامَة بن زيد حبُّ [١٩٣٩] رسول الله ﷺ، فكَلَّمَهُ أُسَامَةُ[١٩٤٠]، فقال رسول الله ﷺ (**يا أُسَامَةُ، أتشَفعُ فى حَدٍّ من حُدود**

(١٩٣١) أى: بسبب تقصيرهم فى دفع الخراج.

(١٩٣٢) يعنى: أطلق سراحهم.

(١٩٣٣) وهى: القبيلة المعروفة .

(١٩٣٤) أى: أقلقهم وأحزنهم.

(١٩٣٥) نسبة إلى بنى مخزوم بطن من قريش .

(١٩٣٦) وكان اسمها فاطمة بنت الأسود بن عبد الأسد .

(١٩٣٧) أى: يشفع لها عنده حتى لا يقيم عليها الحد .

(١٩٣٨) وفى رواية (ومن يجترئ) بزيادة الواو، أى: يتقدم لهذا الأمر غير متهيِّب ولا خائف لما له من منزلة ومكانة عند رسول الله ﷺ .

(١٩٣٩) أى: حبيب، وهو بالنصب نعت لأسامة، ويروى بالجر نعت لزيد، وكان يقال لأسامة: الحب بن الحب.

(١٩٤٠) أى: فى شأنها ليعفو عنها.

الله[١٩٤١] ؟ ثم قام فاختطب [١٩٤٢]، فقال: إنما هلك الذين من قبلكُم [١٩٤٣]، أنهم كانوا إذا سَرق فيهم الشريفُ تركوه [١٩٤٤]، وإذا سرق فيهم الضعيفُ أقاموا عليه الحدَّ . وأيْمُ الله [١٩٤٥] لو أن فاطمةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ [١٩٤٦] سَرَقَتْ لقَطعْتُ يَدَهَا [١٩٤٧]).

[رواه البخارى ومسلم، وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه]

(وهذا) الحدُّ المشار إليه فى الحديث .. هو الذى يقول الله ـ تبارك وتعالى ـ آمرًا به فى [سورة المائدة: ٣٨، ٣٩] .

﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ أى: مَن سَرقَ ـ فاقطعوا يده اليمنى ـ ذكرًا كان السارق أو أنثى ﴿جَزَاءً بِمَا كَسَبَا﴾ أى: مجازاة لهما على سَرقتهما ﴿نَكَالاً مِّنَ اللَّهِ﴾ أى: عقوبةً من الله تعالى لهما ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ أى: عزيز فى انتقامه ممن عصاه، حكيم فى تدبيره وقضائه [١٩٤٨] ﴿فَمَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ﴾ أى: فمَنْ تاب من هؤلاء السُّراق، بعد سرقته واعتدائه، وأصلح عمله ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ﴾ أى: فإن الله يغفر له خطيئته، بعد إقامة الحد عليه ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أى: غفور لذنوب العباد رحيم بهم .

(وقد) قرأت حول معنى قول الله تعالى: ﴿نَكَالاً مِّنَ اللَّهِ﴾ كلامًا هامًا ـ فى كتاب مفتاح الخطابة والوعظ ـ أحب أن أُثبته هنا للإفادة والاستفادة، وهو: أن

(١٩٤١) والاستفهام هنا للإنكار، ومعناه: لا ينبغى لك ذلك .

(١٩٤٢) أى: خطب الناس مبينًا لهم أهمية الحدود ووجوب إقامتها على الشريف والضعيف .

(١٩٤٣) يعنى: من الأمم كاليهود والنصارى .

(١٩٤٤) يعنى: لم يقيموا عليه الحد .

(١٩٤٥) أصلها وأيمن الله، جمع يمين بمعنى القسم، فحذفت النون للتخفيف .

(١٩٤٦) وهى سيدة نساء هذه الأمة وبضعة رسول الله ﷺ، وكانت أحب بناته إليه .

(١٩٤٧) يعنى: لنفذت فيها الحد ولم تأخذنى بها رأفة .. وضرب بها المثل صلوات الله وسلامه عليه لأنها كانت أعز أهله عليه، ولأنها كانت سَمِيَّة للسارقة .. أى كانت تُسمَّى باسمها.

(١٩٤٨) روى أن أعرابيًا سمع قارئًا يقرأ هذه الآية، وختمها خطأ بقوله (والله غفور رحيم) فقال الأعرابى: ما هذا كلام الله! أعِدْ علىَّ الآية .. فأعادها وقرأها صحيحة: ﴿ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (المائدة: ٣٨) فقال الأعرابى عندئذ: نعم هذا كلام الله، عزَّ فحكم فقطع، ولو رحم وغفر لما قطع . (فسبحان من هذا كلامه).

معنى (نكالاً) من نَكَّل به تنكيلاً جعله نكالاً وعبرة لغيره .. ثم يقول: (تلك) هى العقوبة التى قررها العالم بطبائع النفوس الرحيم بالخلق، وقد جَرَّبَهَا المسلمون زمنًا طويلاً فنجعت وأفادت.

(وقد) شَذَّ فريق من الناس فتَوهَّم أن ذلك قسوةٌ على الإنسان، فأخذ يضع للسارق عقوبات أخرى كالحبس .. ولكنه لم يُفلح فى سَدِّ ذلك الباب الخطير، ولا تزال عصابات اللصوص تهاجم الناس، حتى فى أرقى البلاد تمدينًا، وأحرصهم على احترام القانون، وإن ذلك يُعد فشلاً عظيمًا فيما وضعوه من أنواع العقوبة، (ألا) فليُقلعُوا عن ذلك الوهم، وليعلموا أن الله أرحم بعبيده منهم، (وأن) اليد التى تعيث فى الأرض فسادًا هى يد مهينة، بقاؤها مُضرٌّ كالعضو الذى يعود بقاؤه على الجسم كُلِّه بالأذى.. (فمن) العقل والحكمة بَتْره حتى تعيش الأمة آمنة على نفسها ومالها [١٩٤٩] .

(فليكن) هذا التذكير الخاص بهذا الموضوع الأخير.. سببًا فى ردع اللصوص السارقين حقوقَ الآخرين بالأيدى .. أو: بأى وسيلة من الوسائل الأخرى .. التى منها على سبيل المثال ـ لا الحصر ـ السرقة من الميزان، أو التطفيف فى الكيل ـ وحسبهم ردعًا لهم قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَيْلٌ[١٩٥٠] لِّلْمُطَفِّفِينَ * الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ أى: الذين إذا اكتالوا من الناس ما لهم من حق، يستوفونه منهم فيكتالونه منهم وافيًا ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ أى: وإذا هم كالوا للناس، أو وزَنُوا لهم، ينقصونهم حَقَّهم ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ * لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ أى: ألا يظن هؤلاء المطففون، أنهم مبعوثون بعد مماتهم، ليوم عظيم شأنُه، هائل أمرُه، فظيع هولُه؟ ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [١٩٥١] أى: يوم يقف الناس لرب العالمين، حتى يُلجمهُم العرق.

وأما عن ترويع المسلم .. بالإشارة إليه بسلاح ونحوه .. سواء كان جادًا أو مازحًا .. فقد ورد فيه:

(١٩٤٩) انظر (مفتاح الخطابة والوعظ) باب السرقة وقطع الطرق، هامش ص ٢٠٠.

(١٩٥٠) الويل فى اللغة أى: الهلاك والدمار.

(١٩٥١) سورة المطففين: ١ ـ ٦ والتفسير من مختصر تفسير الطبرى .. بتصرف.

(عن) عبد الرحمن بن أبى ليلى قال: حدثنا أصحاب محمد ﷺ أنهم كانوا يسيرون مع النبى ﷺ، فنام رجل منهم، فانطلق بعضهم إلى حبل معه فأخذه[١٩٥٢]، فَفزِعَ [١٩٥٣]، فقال رسول الله ﷺ **(لا يحلُّ لمسلمٍ أن يُرَوِّع مُسلمًا** [١٩٥٤]**)**. [رواه أبو داود]

(وعن) أبى هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: **(لا يُشير** [١٩٥٥] **أحدكُم إلى أخيه بالسلاح، فإنه لا يدرى لعلَّ الشيطانَ ينزِعُ فى يدِه** [١٩٥٦]**، فيقع فى حُفْرةٍ من النار)**. [رواه البخارى ومسلم]

(وعن) أبى هريرة ـ أيضًا ـ قال: قال أبو القاسم ﷺ:

(مَن أشار إلى أخيه بحديدةٍ [١٩٥٧]**فإن الملائكةَ تلعنُه حتى ينتهِى، وإنْ كان أخاه لأبيه وأمه)** [رواه مسلم]

(وهكذا)، فإن الإسلام الكامل لن يجتمع فى قلب المسلم إلا بالالتزام والارتباط بأخلاق المسلمين .. حتى يستحق بذلك أن يكون مسلمًا .. أو أن يُسمَّى مُسلمًا .. لا مُتمسلمًا.

(فعن) أسودَ بن أصرم ﷺ قال: قلت: يا رسول الله، أوصنى قال: **(تملكُ يدك** [١٩٥٨]**)**. قلت: فماذا أملكُ إذا لم أملك يَدى؟ قال: **(تملكُ لسانك)**. قلت: فماذا أملك إذا لم أملك لسانى؟ قال: **(لا تَبسط يدك إلاَّ إلى خَيْر، ولا تَقُلْ بلسانكَ إلا معروفًا** [١٩٥٩]**)**.

[رواه ابن أبى الدنيا، والطبرانى بإسناد حسن، والبيهقى]

(١٩٥٢) يعنى: أخذ منه الحبل خفية.

(١٩٥٣) أى: قام من نومه مرتاعًا.

(١٩٥٤) أى: يخيفه ويفزعه، وقوله (لا يحل) يفيد أنه حرام، فإن نفى الحل مستلزم للحرمة.

(١٩٥٥) هو خبر فى معنى النهى.

(١٩٥٦) أى: فيصيب السلاح أخاه.

(١٩٥٧) أى: بقطعة أو بعضًا من الحديد على جهة التهديد.

(١٩٥٨) أى: تكفها فلا تبسطها لأحد بسوء، وهو خبر بمعنى الأمر.

(١٩٥٩) أى: قولاً حسنًا.

(هذا)، وأما عن الهجرة الحقيقية التى بها تتحقق المهاجَرةُ إلى الله تبارك وتعالى .. (فهى) المشار إليها فى قول الرسول ﷺ - فى نص الحديث الثانى موضوع الفتوى - : (**والمهَاجِر مَنْ هجر ما نَهَى اللهُ عنه**) : أى : أن الهجرة لا تتحقق فقط بالانتقال بالبدن من بلد إلى بلد .. (وإنما) الهجرة الحقيقية تتمثل فى اجتناب المعاصى وهجرها .. (قال) فى الفتح: وهذه الهجرة ضربان: ظاهرة وباطنة .. (فالباطنة): ترك ما تدعو إليه النفس الأمَّارة بالسوء والشيطان (والظاهرة): الفرار بالدين من الفتن .

(فعلى) الأخ المسلم .. والأخت المسلمة .. أن يلاحظا كل هذا المشار إليه فى شرح هذين الشرفين اللذين دُرْنا حولهما - وبإيجاز - حتى يكونا من المسلمين حقاً .. (بل) وحتى يكونا من المهاجرين إلى الله تبارك وتعالى بهذا المعنى الكبير الذى وقفا عليه - أخيراً - وهو هَجْر المعاصى والمخالفات .. (وإلا) فإن الله - تبارك وتعالى - كما يقول عن نفسه فى قرآنه: ﴿ **شَدِيدِ الْعِقَابِ** ﴾[١٩٦٠]، كما يقول: ﴿**إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ**﴾[١٩٦١] .

(وعليهما) كذلك أن يُداوما تجديد التوبة والاستغفار .. حتى يكونا بسبب هذا - إن شاء الله - أهلاً لمغفرة الله تعالى الذى يقول: ﴿**وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ**﴾[١٩٦٢]، ويقول: ﴿**وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا**﴾[١٩٦٣]، والله ولى التوفيق،

(١٣٠) مَنِ القَبعْثَرَى .. يا رسولَ الله؟

عن أبى عامرٍ الأشعَرِىِّ ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : (**أهلُ النارِ كُلُّ شديدٍ قَبعْثَرَى**) قيل : يا رسول الله مَنِ القبعْثَرَى؟ قال: (**الشَّديدُ على الأهلِ ، الشديدُ على الصَّاحِبِ، الشديدُ على العشيرة، وأهلُ الجنَّةِ كُلُّ ضعيفٍ مُزَهَّد**)

[أخرجه الشيرازى فى الالقاب ، والديلمى]

(١٩٦٠) سورة غافر: من الآية ٣.
(١٩٦١) سورة البروج: ١٢ .
(١٩٦٢) سورة طه: ٨٢ .
(١٩٦٣) الفرقان: ٧١.

وفى مجمع الزوائد جـ ١٠ ص ٣٩٣ كتاب صفة النار، باب فى أهل النار الخ، ذكر أحاديث تؤيده، منها:

(عن) عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال عند ذكر أهل النار: **(كُلُّ جَعْظَرِىٍّ جَوَّاظ مُستكبر جَمَّاع مَنَّاع، وأهل الجنة الضُّعَفاءُ المغلُوبون)**

[رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح]

(وعن) عبد الله بن عمرو، وسراقة بن مالك بن جُعْشم، أن رسول الله ﷺ قال: **(أهل الجنةِ المغلوبون، وأهلُ النار كُلُّ جَعْظرِىٍّ جَوَّاظ مُستكبر)**.

[أخرجه أحمد فى مسنده، والطبرانى فى الكبير، وهو فى الصغير برقم ٢٧٦٩ من رواية المستدرك، ورمز له بالصحة، لكنه أورده بتقديم الفقرة الثانية على الأولى ولفظه لسراقة، قال المناوى نقلاً عن المستدرك: على شرط مسلم وأقرهُ الذهبى، وفى لفظ الصغير: (أهل الجنة الضعفاء المغلوبون) وقال المناوى: هو كناية عن نفى الكِبْر]

ففى هذه الأحاديث الشريفة الثلاثة يخبرنا النبى ﷺ بأهَمِّ صفات أهل النار، وأهَمِّ صفات أهل الجنة ـ فضلاً عن الموضوع الأساسى الذى هو موضوع الفتوى، والذى سنركز عليه بعد إن شاء الله ـ وإذا كان لنا أن نقف أولاً على مضمون الأحاديث الثلاثة بصفة عامة .. ألا، وهو: من هم أهل النار، ومن هم أهل الجنة ؟ .. فإنه حسبنا أن نعلم وبإيجاز: أن أهل النار هم:

﴿الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ۝ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾

[الماعون: ٥، ٦، ٧]

﴿ وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾

[النساء: من الآية ٣٨]

﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ۝ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۝ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾

[النازعات: ٣٧ ـ ٣٩]

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ﴾ [النساء: من الآية ٥٦]

﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ (١٩٦٤) * الَّذِي جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ * يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ * كَلاَّ لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ * نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ * الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَةِ * إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ (١٩٦٥) * فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ﴾ [الهمزة: ١ ـ ٩]

وأما عن أهل الجنة، فمنهم المشار إليه فى قول الله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ [يونس: ٩]

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً * خَالِدِينَ فِيهَا لاَ يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً﴾ [الكهف: ١٠٧، ١٠٨]

﴿إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * عَلَى الأَرَائِكِ (١٩٦٦) يَنظُرُونَ * تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ (١٩٦٧) النَّعِيمِ * يُسْقَوْنَ مِن رَحِيقٍ مَّخْتُومٍ * خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ * وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ * عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾ [المطففين: ٢٢ ـ ٢٨]

﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى (١٩٦٨) وَزِيَادَةٌ وَلاَ يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلاَ ذِلَّةٌ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [يونس: ٢٦]

﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ * فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ * ثُلَّةٌ مِّنَ الأَوَّلِينَ * وَقَلِيلٌ مِّنَ الآخِرِينَ * عَلَى سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ * مُّتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ * يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ * بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ * لاَ يُصَدَّعُونَ (١٩٦٩) عَنْهَا وَلاَ يُنزِفُونَ * وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا

(١٩٦٤) يقال: رجل همّاز أى: مغتاب لغيره، ولُمزة من اللمز وهو تتبع المعايب، وعليه ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾ [التوبة: ٥٨] أى: يعيبك.

(١٩٦٥) من أوصدت الباب: أغلقته والمراد مطبقة عليهم، ومُمدَّدة صفة لعمد.

(١٩٦٦) جمع أريكة، وهى كل ما يُتّكأ عليه من سرير ومنصة وفراش.

(١٩٦٧) أى: بهجة، والرحيق الخمر الخالصة من الدنس، ومزاجه أى ما يُمزج به، والتسنيم فسّره بقوله عينًا.. الخ.

(١٩٦٨) قال بعض المفسرين: الحسنى صفة للمثوبة أى: لهم المثوبة الحسنى، والزيادة الفضل فى الثواب ومضاعفته، وقال الجلال: الحسنى الجنة، والزيادة: هى النظر إليه تعالى كما فى حديث مسلم.

(١٩٦٩) أى: لا يحصل لهم صُداع، ولا ينزفون، أى: لا تغيب عقولهم لشربها.

يَتَخَيَّرُونَ * وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ * وَحُورٌ عِينٌ * كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ * جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الواقعة: ١٠ ـ ٢٤]

وفى السنة المطهرة يُحدِّثنا الرسول ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ عن أهم صفات أهل النار وأهل الجنة، فيقول:

(عن) أبى موسى الأشعرى ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(لا يدخل الجنةَ مُدمِنُ خمرٍ (١٩٧٠)، ولا مؤمن بسِحْرٍ، ولا قاطع رَحِمٍ)**.

[رواه ابن حبان فى صحيحه]

(وعن) أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **(ثلاثة أنا خَصْمهم يوم القيامة: رجل أعطى ثم غَدَر (١٩٧١)، ورجل باع حُرًّا ثم أكل ثَمنه، ورجل استأجر أجيرًا فاستوفى منه العمل، ولم يُوفِّه أجْرَه)** [رواه البخارى]

(وعن) أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(ثَلاثٌ لا يُكلِّمهم الله يوم القيامة، ولا يزكِّيهم، ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم: شيخٌ زانٍ، ومَلِكٌ كَذَّابٌ، وعائلٌ (١٩٧٢) مستكبر)** [رواه مسلم والنسائى]

(وعنه) قال: قال رسول الله ﷺ: **(أربعةٌ يبغضُهم الله: البيَّاعُ الحلاَّف(١٩٧٣)، والفقيرُ المُختال، والشيخُ الزانى، والإمامُ الجائر)**.

[رواه النسائى وابن حبان فى صحيحه]

(وعن) حذيفة ﷺ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: **(لا يدخُل الجنَّة قَتَّاتٌ)** [رواه البخارى ومسلم، ورواه مسلم بلفظ (نَمَّام)]

(وعن) ابن عباس ﷺ قال: مَرَّ النبى ﷺ بقبرين، فقال: **(إنهما ليُعذَّبان وما يُعذَّبان فى كبير، أما أحدهما فكان لا يستَتِرُ (١٩٧٤) من البوْلِ، وأما الآخرُ**

(١٩٧٠) أى: مُديم لشربها.

(١٩٧١) أى: أعطى عهدًا بى، والغدر: ترك الوفاء.

(١٩٧٢) أى: فقير.

(١٩٧٣) أى: كثير الحلف.

(١٩٧٤) أى: لا يستنزه، ولا يبتعد كما جاء مُصَرَّحًا به فى الرواية الأخرى بلفظ: لا يستنزه.

فكانَ يمشِي بين الناسِ بالنميمة) [رواه البخارى ومسلم]

وأما عن أهل الجنة، فمنهم المشار إليه فى الأحاديث الآتية:

(عن) أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله عز وجلَّ: (أعددتُ لعبادى الصالحين ما لا عينٌ رأتْ، ولا أذنٌ سمعتْ، ولا خطر على قلب بشر، واقرءوا إن شئتم: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ (١٩٧٥)).

[رواه البخارى ومسلم]

(وعن) أبى سعيد الخدرى ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **(إن أهل الجنة ليتراءونَ أهل الغُرَفِ من فوقهم، كما يتراءَوْنَ الكوكبَ الدُّرِّىَّ** (١٩٧٦) **الغابر فى الأفُق من المشرقِ إلى المغرب لتفاضُل ما بينهم)** قالوا: يا رسول الله، تلك منازل الأنبياء لا يبلغُها غيرهم؟ قال:**(بلى ـ والذى نفسى بيده ـ رِجَالٌ آمنُوا باللهِ، وصَدَّقُوا المرسَلين)** [رواه البخارى ومسلم]

(وعن) أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ، قال:**(لغَدوةٌ فى سبيل الله أو روحةٌ خير من الدنيا وما فيها، ولقابُ قوسِ** (١٩٧٧) **أحدكُم أو موضع قدره ـ يعنى سوطه ـ من الجنة خير من الدنيا وما فيها، ولو اطلعتْ امرأةٌ من نساء أهل الجنة إلى الأرض لملأتْ ما بينها رِيحًا، ولأضاءتْ ما بينهما، ولنَصيفُها على رأسها** (١٩٧٨) **خير من الدنيا وما فيها)** .

[رواه البخارى ومسلم]

(وعن) جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(مَن كُنَّ له ثلاثُ بنات يُؤويهُنَّ ويرحَمُهُنَّ ويَكفُلُهُنَّ، وجبتْ له الجنةُ ألبتَّة)** قيل: يا رسول الله، فإن كانتا اثنتين؟ قال: **(وإنْ كانتَا اثنتين)** قال: فرأى بعض القوم أن لو قال واحدة لقال واحدة. [رواه أحمد بإسناد جيد، والطبرانى فى الأوسط وزاد: (ويُزَوجُهُنَّ)]

(١٩٧٥) سورة السجدة: من الآية ١٧.

(١٩٧٦) أى: الثاقب المضىء.

(١٩٧٧) القاب: القدر، وقال أبو معمر: قاب القوس من مقبضه إلى رأسه.

(١٩٧٨) والنصيف: أى الخمار.

والآن، وبعد هذا التلخيص العام لأهم أعمال أهل النار، وأهل الجنة، فى القرآن والسنة .. (أعود) بالأخ المسلم إلى الصفات التى ركَّز عليها الرسول ﷺ فى الروايات الثلاثة التى ندور حولها ..

ففى الحديث الأول، قال رسول الله ﷺ: (**أهلُ النارِ كُلُّ شَديدٍ قَبعْثَرى**) فلما سُئل رسول الله ﷺ: مَن القبعثرى؟ قال: (**الشديدُ على الأهلِ، الشديدُ على الصَّاحب، الشديدُ على العشيرة**).

قال فى النهاية لابن الأثير مادة (قبعثر) قال: القبعثرى: الضخم العظيم. (وهذا) معناه أن القبعثرى هذا .. من النوع المتميز بخشونة الطبع .. وغِلْظة القلب.. بتلك الصورة التى تُنَفِّر الناسَ منه .. وتأبى أن تلتقى به هروبًا من شرِّه .. أو من مجرد النظر إلى وجهه العَبُوس .. أى: أنه ليس آلفًا ولا مألوفًا .. بعكس المؤمن الذى يتميَّزُ عن غيره من الناس بالمودة والرحمة، والألفة والمحبة.

(وقد) أشار الله ـ تبارك وتعالى ـ إلى هذا فى قوله لحبيبه المصطفى صلوات الله وسلامه عليه:

(**فبما** (١٩٧٩) **رحمة من الله لِنْتَ لهم**) أى: فبرحمة من الله ـ أودعها الله فى قلبك يا محمد ـ لِنْتَ لأصحابك، وحَسُنت لهم أخلاقُك، حتى احتملتَ الأذى منهم ﴿**وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ**﴾ أى: ولو كنتَ جافيًا، قاسىَ القلب لتفرَّقوا عنك وتركوك، ولكن اللهَ رحمهم بك (١٩٨٠) فَلَيَّن قلبكَ، وحَسَّن خُلُقَكَ ﴿**فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ**﴾ (١٩٨١). (وهكذا) كان خلق رسول الله ﷺ، (فلقد) ورد:

(عن) أنس رضي الله عنه أنَّه مَرَّ على صبيانٍ فسلَّم عليهم، وقال: كان النبى ﷺ يفعله. [متفق عليه]

(١٩٧٩) فبما (ما) صلة أى زائدة، زيدت لتأكيد الكلام، والمعنى: فبرحمة من الله .

(١٩٨٠) الغرض الامتنان على الرسول ﷺ وعلى الأمة وعلى المؤمنين بصفة خاصة بالرحمة المهداة صلوات الله وسلامه عليه.

(١٩٨١) آل عمران: ١٥٩، والتفسير من مختصر تفسير الطبرى .. باختصار.

(وعنه) قال: كانت الأَمَةُ من إماء المدينة لتأخذ بيد النبى ﷺ فتنطلق به حيثُ شاءت. [رواه البخارى]

(وعن) الأسود بن يزيدَ، قال: سألتُ عائشة رضي الله عنها: ما كان النبى ﷺ يصنع فى بيته؟ قالت: كان يكون فى مِهنَةِ أهله ـ يعنى: خدمة أهله ـ فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة. [رواه البخارى]

(وكيف لا) وهو المخاطب بقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[١٩٨٢]. (ولهذا) فقد أمرنا الله تعالى بالاقتداء به، فقال: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[١٩٨٣].

(ولقد) كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه فى الجاهلية (قبعثَرِيًا) بطبعه .. ولكن الإسلام صقَله.. فأصبح من الأصحاب الفضلاء الذين تحدَّث الله ـ سبحانه وتعالى ـ عنهم فى قوله:

﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ أى: محمد رسول الله، وأصحابه الذين هم معه على دينه ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾ أى: غليظة قلوبهم على الكفار، قليلة بهم رحمتهم ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ أى: رقيقة قلوب بعضهم لبعض، هَيِّنةٌ عليهم ﴿تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾ أى: يلتمسون بركوعهم وسجودهم فضل الله ورحمته، بأن يتفضل عليهم فيدخلَهُم جَنَّته، وأن يرضى عنهم ربهم ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ أى: علامتهم فى وجوههم من أثر السجود فى الصلاة، وذلك فى الدنيا الخشوع والزهد، وهَدْىُ الإسلام وسَمتُه، وفى الآخرة التحجيل وبياض الوجوه من أثر السجود.

﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ﴾ أى: هذه الصفة صفتهم فى التوراة ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ﴾ أى: فقَوَّى الزرعُ أفراخَه وشدَّه وأعانه، فغلُظ الزرعُ ﴿فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ﴾ أى: فقام الزرعُ واستقام على أُصوله ﴿يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ﴾ أى: يُعجبُ الزرَّاع من كثرته، وحُسْنِ نباته ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ أى:

(١٩٨٢) سورة القلم: ٤ .

(١٩٨٣) الأحزاب: ٢١ .

ليغيظ الله بهم الكفار، فكذلك مثل محمد وأصحابه، اجتمعوا حتى كثُروا، ونَمُوا، وغَلُظ أمرهم كهذا الزرع ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (١٩٨٤).

(وكان) عمر من أبرز هؤلاء الأصحاب الفضلاء بسبب قوته المتميزة التي كانت سَبَبًا في أن يتضرع الرسول ﷺ إلى ربِّه أن يُعزَّ الإسلامَ بعمر بن الخطاب .. فكان إسلامه فتحًا، وهجرته نصرًا، وإمارته رحمة، كما يقول ابن مسعود رضي الله عنه وكان قوةً ضاربة لصالح الإسلام والمسلمين .. بعد أن كان عكس هذا.

(ويوم) أن أصبح أميرًا للمؤمنين..صَعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

(يا أيها الناسُ، إني دَاع فَأَمِّنوا، اللهُمَّ إنِّي غليظٌ فَلَيِّنِّي لأَهْل طَاعَتكَ بموافَقَة الحقِّ ابتغَاءَ وَجْهكَ والدار الآخرة، وارزقْني الغلْظَةَ والشِّدةَ على أعدائك، وأهل الدَّعارَة (١٩٨٥) والنِّفَاق من غير ظُلْم مني لهم ولا اعتداء عليهم . اللهُمَّ إنِّي شحيحٌ فَسَخِّني في نوائب المعروف، قصدًا من غير سَرَف ولا تبذير ولا رياء ولا سُمعَة، واجعلني أبتَغي بذلك وجهكَ والدارَ الآخرة، اللهُمَّ ارزقْني خَفْضَ الجناح، ولِينَ الجانب للمؤمنين . اللهم إنِّي كثيرُ الغفلة والنسيان فألهمني ذكْرَكَ على كل حَال، وذكْرَ الموت في كُلِّ حين . اللهم إنِّي ضعيفٌ عن العمل بطاعتك فارزقني النشاطَ فيها، والقُوَّة عليها بالنية الحسنَة التي لا تكون إلا بعزَّتكَ وتوفيقك. اللهم ثَبِّتْني باليقين والبرِّ والتقوى، وذكْر المقام بين يديك، والحياء منك، وارزقني الخُشوع فيما يُرضيكَ عنِّي، والمحاسبَةَ لنفسي، وإصلاحَ الساعات، والحذرَ من الشبهات. اللهُمَّ ارزقني التفكرَ والتَّدبُّرَ بما يتلوهُ لساني من كتابك، والفهْمَ له، والمعرفَةَ بمعانيه، والنَّظَر في عجائبه، والعمل بذلك ما بقيتُ، إنك على كل شيء قدير . اللهُمَّ لا تدعني في غَمْرَة (١٩٨٦)، ولا تأخذني على غرَّة، ولا تجعلني من الغافلين) . [ذكره في العقد الفريد]

(١٩٨٤)سورة الفتح: ٢٩، والتفسير من مختصر تفسير الطبري . . باختصار وتصرف.

(١٩٨٥) الدعارة، أي: الفجور.

(١٩٨٦) الغمرة كسجدة: الانهماك في الباطل.

(فَلْيكُنْ) هذا، أخا الإسلام هو دعاؤك إذا ما وُلِّيتَ أمرًا قياديًا من أمور المسلمين .. عسى أن يستجيبه الله تعالى منك .. فتكون عُمَريًا .. لا (قبعثريًا) بتلك الصورة الأخرى التى نرجو ـ كمسلمين ـ أن لا تكون من أهلها حتى لا تكون من أهل النار ـ والعياذ بالله ـ أو حتى لا ينفضَّ الناسُ من حولك فتكون معزولاً عن صالحى المؤمنين .. ويوم أن يحدث هذا بالنسبة لك، فإن هذا سيكون معناه أنك قد خسرتَ دنياك وأُخراك .

(وإذا) كُنْتَ من الفقراء الضعفاء الزاهدين أو المزَهدين .. (فإنه) حسبك أن تعلم أنك إذا كنت من الراضين الشاكرين.. (فإن) هذا سيكون معناه أنك ستكون من أهل الجنة إن شاء الله ـ كما جاء فى نص الحديث الذى ندور حوله ـ.

(فعن) عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **(قد أفلحَ مَنْ أسلم، وكان رزقُه كَفافًا وقنَّعَهُ الله بما آتاه)** [رواه مسلم]

(وعن) فُضَالَةَ بنِ عُبَيْد ﷺ أن رسول الله ﷺ كان إذا صلَّى بالناس يَخِرُّ رِجَالٌ من قامتهم فى الصلاة من الخَصاصَة (١٩٨٧) وهم أصحابُ الصُّفَّة، حتى يقولَ الأعرابُ : هؤلاء مجانين، فإذا صلَّى رسول الله ﷺ انصرف إليهم فقال: **(لو تعلَمُون ما لكُمْ عند الله تعالى لأحببتُم أنْ تَزْدادُوا فاقةً وحاجةً)**

[رواه الترمذى وقال: حديث صحيح]

(وليس) هذا معناه أن يكون الإنسانُ عالةً على غيره، وإنما المطلوب منه أن يأخذ بالأسباب طلبًا للرزق الحلال.

(فعن) أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(لأنْ يحتطبَ أحدُكم حُزْمَةً على ظهْرِه خيرٌ له من أن يَسألَ أحدًا فيُعطيه أو يمنعَهُ)** [رواه البخارى]

(واحذر) أخا الإسلام أن تكون: جَعْظَرِيًا، جَوَّاظًا، مُستكْبِرًا، جَمَّاعًا، منَّاعًا .. (حتى) لا تكون كذلك من أهل النار والعياذ بالله (مع) ملاحظة: أن الجعظَرِى،

(١٩٨٧) الخصاصة، أى: الفاقة والجوع الشديد.. (والحديث) فى رياض الصالحين (باب: فضل الزهد فى الدنيا والحث على التقلل منها وفضل الفقر).

أى: الفظ الغليظ المتكبر، والجوَّاظ، أى: الجمُوع المنوع، وقيل: كثير اللحم المختال فى مشيته. وقيل: القصير البطن. (والجمَّاع المناع)، أى: الكثير الجمع للمال، والمنع له أى: إمساكه والبخل به . (والعُتُلُّ): هو الغليظ الجافى.

(فعن) حارثة بن وهب ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(ألاَ أُخبركم بأهل النار؟ كُلُّ عُتُلٍّ جَوَّاظٍ مُستكبر)** [رواه البخارى ومسلم]

(وعنه) ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(لا يدخُل الجنةَ الجَوَّاظ، ولا الجعْظرى)** قال: والجوَّاظ الغليظ الفظ . [رواه أبو داود]

فعلى الأخ المسلم .. (بل) والأخت المسلمة .. أن يلاحظا كل هذا ويُنقِّناه.. (بالنسبة) لأعمال أهل الجنة حتى يكونا من أهلها بهذا المفهوم الصحيح الذى وقفا عليه .. (وعليهما) أن يحذرا الكِبْر بجميع أشكاله وألوانه التى وقفا عليها كذلك، حتى لا يكونا من أهل النار .. والعياذ بالله .. والله ولى التوفيق،،

(١٣١) أىُّ الظُّلْمِ أظْلَمُ .. يا رسولَ الله؟

عن أبى مسعود ﷺ قال: قلت: يا رسول الله، أىُّ الظلم أظلمُ [١٩٨٨] ؟ فقال: **(ذراع من الأرض [١٩٨٩] ينتقصُها المرءُ المسلمُ من حقِّ أخيه، فليس حصَاةٌ من الأرض يأخذها إلا طُوِّقَها يومَ القيامة إلى قعْر الأرض، ولا يعلم قَعْرها إلا اللهُ الذى خلقَها)** . [رواه أحمد والطبرانى فى الكبير، وإسناد أحمد حسن]

(وعن) أبى مالك الأشعرىِّ ﷺ عن النبى ﷺ قال: **(أعظَمُ الغُلُول [١٩٩٠] عند الله عز وجل: ذراعٌ من الأرض تجدون الرجلين جارين فى الأرض، أو فى الدار، فيقتطعَ أحدُهُما من حظِّ صاحبه [١٩٩١] ذراعًا إنا اقتطعه طُوِّقه من سَبْع أرضين)**. [رواه أحمد بإسناد حسن، والطبرانى فى الكبير]

(١٩٨٨) يعنى: أشد وأقبح من غيره .

(١٩٨٩) أى: مقدار ذراع من الأرض، وليس المقصود خصوص الذراع، بل هو التنبيه به على ما فوقه.

(١٩٩٠) من الخيانة .. أو من المغنم.

(١٩٩١) يعنى: من حقه وملكه.

(ففى) هذين الحديثين الشريفين ـ موضوع الفتوى ـ يجيب النبى ﷺ على هذا السؤال الذى وُجِّه إليه عن: (**أظلم الظُّلْم؟**)، فيقول: (**ذراعٌ من الأرض ينتقصُها المرءُ المسلمُ من حقِّ أخيه**) أى: على جهة الغَصْب والظلم .. ثم يقول: (**فليس حصاةٌ من الأرض يأخذُها إلا طُوِّقها يوم القيامة إلى قَعْرِ الأرض ..**)

(وحول) لفظ طُوِّقه أو طُوِّقها، قال الخطابى: (طُوِّقه له وجهان: **أحدهما: أن** يُكلف نقل ما ظلم منها فى القيامة إلى المحشر فيكون كالطوق فى عنقه. **والثانى:** أن يُعاقَب بالخسف إلى سبع أرضين ..) وقال النووى: (**وأما التطويق**، فقالوا : يحتمل أن معناه أن يحمل منه من سبع أرضين ، **ويُكَلَّف إطاقته ذلك** ، أو يجعل له كالطوق فى عنقه، ويُطوَّل الله فى عنقه، كما جاء فى غِلَظ جلد الكافر، وعِظَم ضرسه، أو يُطوَّق إثم ذلك ويلزمه كلزوم الطوق بعنقه).

وقال ابن الجوزى: هو من تطويق التكليف لا من التقليد، وليس ذلك بممتنع، فإنه صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: (**لا ألفينَّ أحدكم يأتى على رقبته بعيرٌ له رغاء**) الخ .. ولكن ظاهر لفظ التطويق أنه يُجعَل كالطوق فى عنقه ليُعذَّب بحمله على تلك الهيئة .

(وعن) عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: (**مَن ظلم قِيد** [١٩٩٢] **شبر من الأرض طُوِّقه من سبع أرَضين**) [رواه البخارى ومسلم] [١٩٩٣]

(فعلى) الأخ المسلم أن يلاحظ كل هذا ويتحاشاه حتى لا يكون من أظلم الظالمين .. مع ملاحظة أنه كما يحرم التعدى على الأملاك الخاصة .. كذلك يحرم التعدى على المنافع العامة للمسلمين الذين نسأل الله تعالى أن يجعلنا من الأمناء على أموالهم الخاصة والعامة .. اللهم آمين،،

(١٩٩٢) قيد شبر بكسر القاف: أى قدر.

(١٩٩٣) انظر (الترغيب والترهيب) ج٣ ص٢١، ٢٢ مع الهامش.

(١٣٢) بماذا تنصحنى يا رسول الله .. إذا وقع بصرى فجأةً على امرأة أجنبية عنى؟

عن جَرِير ﷺ قال: سألت رسول الله ﷺ عن نظر الفُجاءة؟ فقال: **(اصْرِف بصرَك)**. [رواه مسلم وأبو داود والترمذى، وكذلك رواه الإمام أحمد رحمه الله، ورواه النسائى، وقال الترمذى: حسن صحيح]

(ففى) هذا الحديث الشريف يفتينا النبى ﷺ بضرورة أن نصرف أبصارنا عن الأجنبيات عنا، إذا ما وقعت فجأة على تلك الأجنبيات .. أى: اللائى لا يحل لنا أن ننظر إليهن، (وذلك) لأن الناظر إلى المرأة بشهوة لا يلبث أن تقوم فى نفسه الرغبة فى الاتصال بها، فيحاول ذلك بكل الطرق وبكل وسائل الإغراء حتى تقع فريسة بين يديه، وكانت النظرة هى السهم الأول الذى أرسله إلى تلك الفريسة:

(فعن) عبدالله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ، يعنى عن ربه عز وجل [١٩٩٤]: **(النظرة [١٩٩٥] سَهْم مَسْمُومٌ من سِهَام إبليسَ، مَنْ تركَها مِنْ مخَافتى [١٩٩٦] أبدلْتُه إيمانًا يجد حلاوتَهُ فى قَلْبِه)**.

[رواه الطبرانى والحاكم من حديث حذيفة وقال: صحيح الإسناد]

(وعن) على بن أبى طالب ﷺ أن النبى ﷺ قال له: **(يَا علىُّ، إن لك كنزًا فى الجنة [١٩٩٧]، وإنك ذو قرنَيْها [١٩٩٨] فلا تُتْبع النظرة النظرةَ، فإنما لكَ الأُولَى، وليستْ الآخِرَة [١٩٩٩])** [رواه أحمد]

ورواه الترمذى، وأبو داود من حديث بريدة قال: قال رسول الله ﷺ لعلى:

(١٩٩٤) يعنى: حاكيًا عن الله عز وجل فهو حديث قدسى، والصحيح أن ألفاظه من عند الله تعالى.

(١٩٩٥) يعنى: إلى محاسن النساء الأجنبيات.

(١٩٩٦) أى: تركها لأجل خوفه من عقابى.

(١٩٩٧) أى: نعيمًا مُدَّخرًا لك فيها.

(١٩٩٨) أى: ذو قَرْنَى هذه الأمة .. وقيل معناه: إنك ذو قَرْنَى الجنة.

(١٩٩٩) أى: الثانية، بل هى عليك لأنها وقعت عن عمد واختيار.

(يا عليُّ، لا تُتبِعِ النظرةَ النظرةَ، فإنما لكَ الأُولَى، وليستْ لكَ الآخِرةُ) .

(فعلى) الأخ المسلم، بل والأخت المسلمة أن يلاحظا هذا .. لأن الله تعالى يقول لحبيبه المصطفى صلوات الله وسلامه عليه فى سورة النور:

﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ * وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾[٢٠٠٠] .

(وعن) عبادة بن الصامت ﷺ أن النبى ﷺ قال: (اضْمَنُوا لى ستّاً من أنفسكم أضمنُ لكُم الجنةَ [٢٠٠١]: اصْدُقوا إذا حَدَّثتُمْ ، وأوْفُوا إذَا وعدتم، وأدُّوا إذا ائتُمِنْتم ، واحفظُوا فُروجَكُم ، وغُضُّوا أبْصَاركم، وكُفُّوا أيديكم)

[رواه أحمد، وابن حبان فى صحيحه، والحاكم كلهم من رواية المطلب بن عبدالله بن حنطب عنه، وقال الحاكم: صحيح الإسناد]

والله ولى التوفيق،،

(١٣٣) هَلِ اللهُ تَعالى يَغَارُ .. يَا رسُولَ الله؟

عن أبى هريرة ﷺ أن النبى ﷺ قال: (إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يَغَار، وغَيْرةُ الله أنْ يأتىَ المؤمنُ ما حرَّم اللهُ عليه) [رواه البخارى ومسلم]

(ففى) هذا الحديث الشريف الصحيح [٢٠٠٢] يُشير النبى ﷺ فى فتواه .. إلى أن الغيرة بالنسبة لله عز وجل .. صفة لله عز وجل على ما يليق به، فلا يجوز نفيها عنه ـ وهذا مذهب سلف الأمة ـ (وهى) كمال فى حق المخلوق، ويمكن أن يتصف بها الخالق، فالخالق أوْلَى بها .

(ومعنى) أن غيرة الله أن يأتى المؤمن ما حرم الله عليه، أى: أن يفعل ما نهاه الله عز وجل عنه من الفواحش والمنكرات.

(٢٠٠٠) سورة النور: ٣٠، ٣١ .

(٢٠٠١) وفى رواية: (تكفَّلوا لى بست أتكفل لكم بالجنة).

(٢٠٠٢) انظر (الترغيب والترهيب) ج٣ ص ٤١٩ مع الهامش.

(وقد) ورد فى الصحيح: (أتعجبون مِنْ غَيْرة سعد؟ لأنَا أغيرُ منه، والله أغْير منى).

(وفى) حديث الكسوف: (يا أُمة مُحمد، لا أحَد أغيرُ من الله عز وجل أنْ يزنىَ عبدُه (٢٠٠٣) أو تزنى أمَتُه (٢٠٠٤)).

(ولهذا) كان لابد أن ننتفع بهذه الفتوى حتى نكون من أهل الغيرة اقتداءً بالله تعالى ورسوله صلوات الله وسلامه عليه.

(وقد) ورد تأكيدًا لهذا وتوضيحًا له:

(عن) أُمِّ سلمة ﵂ قالت: كنتُ عند رسول الله ﷺ وعنده ميمونة، فأقبل ابن أمِّ مكتوم، وذلك بعد أن أُمرنا بالحجاب، فقال النبى ﷺ: (احْتجِبَا منْه) فقلنا: يا رسول الله، أليس هو أعمى لا يبصرنا ولا يعرفنا؟ فقال النبى ﷺ: (أفعمياوانِ أنتما ؟ ألستُمَا تُبصرانه؟)

[رواه الترمذى وقال: حديث حسن صحيح] (٢٠٠٥)

(فلنكُنْ) هكذا مع نسائنا وبناتنا .. لأن الله تعالى يقول: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (٢٠٠٦).

والله ولى التوفيق

(١٣٤) مَا حُكْمُ اللعبِ بالنَّرْدِ .. يَا رسُولَ الله؟

عن بُريدة ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: (مَنْ لَعِبَ بالنردَشِير(٢٠٠٧) فكأنَّما صبغَ يدهُ فى دم خنزير) [رواه مسلم، وله ولأبى داود وابن ماجه: (فكَأنما غَمسَ يده فى لَحْم خنزير وَدَمه)].

(٢٠٠٣)،(٢٠٠٤) العبد أى: الذكر، والأمة أى: الأنثى.

(٢٠٠٥) انظر هذا الحديث فى رياض الصالحين فى باب: تحريم النظر إلى المرأة الأجنبية .

(٢٠٠٦) الأحزاب: ٢١ .

(٢٠٠٧) النرد لعبة وضعها أحد ملوك الفرس، وتعرفها العامة باسم الطاولة، وأما شير فمعناه حلو وهو اسم الملك الذى وضع اللعبة.

(وعن) أبى موسى ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(مَن لَعِب بنَرْدٍ أو نردشير فَقَدْ عصَى الله ورسُولَهُ)**.

[رواه مالك واللفظ له وأبو داود وابن ماجه والحاكم والبيهقى، ولم يقولوا: أو نردشير [٢٠٠٨]. وقال الحاكم: صحيح على شرطهما]

قال البيهقى: ورُوينا من وجه آخر عن محمد بن كعب عن أبى موسى عن النبى ﷺ قال: **(لا يُقلِّب كَعْباتها [٢٠٠٩] أحدٌ ينتظِرُ ما تَأتِى به [٢٠١٠] إلا عَصَى اللهَ ورسُولَه)**.

(ففى) هذين الحديثين الشريفين ـ موضوع الفتوى ـ دليل على تحريم هذه اللعبة .. بسبب ما فيها من تضييع الوقت وإلهاء عن ذكر الله وعمل الواجبات.. وقد أخرج البيهقى فى الزواجر عن يحى بن أبى كثير قال: مر رسول الله ﷺ بقوم يلعبون بالنرد، فقال: **(قُـلُوبٌ لاَهِيةٌ، وأيْدٍ عامِلةٌ ، وألسِنةٌ لاغِيةٌ)**.

(وقد) قال الحافظ: قد ذهب جمهور العلماء إلى أن اللعب بالنرد حرام.. ونقل بعض مشايخنا الإجماع على تحريمه، واختلفوا فى اللعب بالشطرنج، فذهب بعضهم إلى إباحته، لأنه يُستعان به فى أمور الحرب وَمكائده [٢٠١١]، لكن بشروط ثلاثة: **أحدها**: أن لا يؤخر بسببه صلاة عن وقتها [٢٠١٢]، **والثانى**: أن لا يكون فيه قمار[٢٠١٣]، **والثالث**: أن يحفظ لسانه حال اللعب عن الفُحش والخنا وردىء الكلام، فمتى لعب به، أو فعل شيئًا من هذه الأمور كان ساقط المروءة مردود الشهادة.

(٢٠٠٨) يعنى: رووه بالجزم من غير شك.

(٢٠٠٩) الكعبات: فصوص النرد واحدتها كعبة، ويقال أيضًا: كعب وكعاب، والمعنى: لا يرمى بكعباتها أحد عند اللعب.

(٢٠١٠) أى: ينتظر ما تسفر عنه من نقط ليلعب على أساسها.

(٢٠١١) لأن المعوَّل فيه على الفكر وحسن الحيلة وجودة التدبير، بخلاف النرد فإن المعوَّل فيه على العدد الذى يسفر عنه الرمى بالكعبين فهو من جنس الميسر.

(٢٠١٢) ولا شك أن أى عمل يكون سببًا فى تأخير الصلاة عن وقتها حرام.

(٢٠١٣) يعنى: أن لا يكون اللعب فيه على مقدار من المال يأخذه من يكسب منهما.

وممن ذهب إلى إباحته سعيد بن جبير والشعبي، وكرهه الشافعي كراهة تنزيه، وذهب جماعات من العلماء إلى تحريمه كالنرد، وقد ورد ذكر الشطرنج في أحاديث لا أعلم لشيء منها إسنادًا صحيحًا ولا حسنًا، والله أعلم [١٤ - ٢].

(فعلى) الأخ المسلم أن يلاحظ كل هذا بالنسبة للنرد بصفة خاصة فهو حرام كما علم .. وبالنسبة للشطرنج وغيره من الملهيات [١٥ - ٢] بصفة عامة .. حتى لا يكون ساقط المروءة مردود الشهادة .. والله الموفق للصواب..

(٩٣٥) ما حُكْم مَن نام على سطح لا تحجير له .. أو رَكِبَ البحرَ عندَ ارتجاجه .. يا رسُولَ الله؟

عن عبد الرحمن بن علي، يعني ابن شيبان عن أبيه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ (**من بات على ظهر بيت ليس له حجار، فقد برئت منه الذمة**).

[رواه أبو داود]

أي: من نام على ظهر بيت - أي: على سطحه - وفي رواية بزيادة (**عال**) - وفي رواية: (**حجاز**) بالزاي، وفي أخرى (**حجاب**) بالباء، والمراد: حائط يمنعه من السقوط: (**فقد برئت منه الذمة**) قال المناوي: (أي: **أزال عصمة نفسه، وصار كالمهدور الذي لا ذمة له، فربما انقلب من نومه فسقط فمات هدرًا**)، وقال في النهاية: (**لأنه عرّض نفسه للهلاك ولم يحترز لها**).

(وقد) رُوي عن جابر رضي الله عنه أنه قال: (نهى رسول الله ﷺ أن ينام الرجل على سطح ليس بمحجور عليه). [رواه الترمذي وقال: حديث غريب]

(ومعنى) الحديث الذي قبله يعتبر شاهدًا له.

(وقد) رُوي كذلك عن عبدالله بن جعفر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (**مَن رمانا**

(١٤ - ٢) انظر (الترغيب والترهيب) ج٤ ص ٧٧، ٧٨، ٧٩، ٨ مع الهامش.

(١٥ - ٢) ولو على سبيل الاحتياط، والاحتياط في الدين واجب تحاشيًا للانشغال عن الواجبات.

بالليل [٢٠١٦] **فليسَ مِنَّا** [٢٠١٧]، **ومَنْ رقد على سَطْحٍ لا جِدَارَ له فمات فدمُه هَدَر** [٢٠١٨]) [رواه الطبرانى . وروى الإمام أحمد رحمه الله الجزء الأول منه عن أبى هريرة، وقال شارح الجامع الصغير إسناده حسن]

(وأما) عن ركوب البحر عند هياجه، فقد ورد فيه: (عن) أبى عمران الجونى قال: كنا بفارس، وعلينا أمير يُقال له: زُهير بن عبدالله، فأبصر إنسانًا فوق بيت أو إجَّار [٢٠١٩] ليس حوله شىء، فقال لى: سمعتَ فى هذا شيئًا ؟ قلت: لا . قال: حدثنى رجل أن رسول الله ﷺ قال: (**من بات فوق إجَّارٍ، أو فوق بيت ليس حوله شىء يرد رِجْله** [٢٠٢٠] **فقد برئت منه الذمَّة، ومَن ركب البحر بعدما يرتَجُّ** [٢٠٢١] **فقد برئت منه الذِّمة**).

[رواه أحمد مرفوعًا هكذا وموقوفًا ورواتهما ثقات والبيهقى مرفوعًا] [٢٠٢٢]

(فعلى) الأخ المسلم أن يلاحظ كل هذا حتى لا يقع فى هذا المحظور الذى نهانا المصطفى صلوات الله وسلامه عليه عن الوقوع فيه .. وإلا كنا سببًا فى إهدار دمائنا بأنفسنا .. وكنا بسبب هذا والعياذ بالله فى حكم المنتحرين الذين قتلوا أنفسهم.

نسأل الله السلامة .. والموت على الإيمان .. اللهم آمين،،

(١٣٦) بِمَاذَا نَجِدُ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ .. يَا رسولَ الله؟

عن أنس ﷺ عن النبى ﷺ قال: (**ثلاثٌ مَن كُنَّ فيه وجد بِهِنَّ حلاوةَ**

(٢٠١٦) أى: رمى إلى جهتنا بالقسىِّ ليلاً.

(٢٠١٧) أى: فهو كافر إن استحل ذلك، وإلا فالمراد ليس على منهاجنا وطريقتنا الكاملة.

(٢٠١٨) أى: باطل لا قود فيه ولا دية لأنه هو الجانى على نفسه.

(٢٠١٩) هو بالكسر والتشديد: السطح الذى ليس ما حواليه يرد الساقط عنه. قاله فى النهاية.

(٢٠٢٠) أى: يمنعها من التردى والسقوط إلى الأرض.

(٢٠٢١) أى: يهيج وتعلو أمواجه.

(٢٠٢٢) انظر (الترغيب والترهيب) ج٤ ص٨٩، ٩٠، ٩١ مع الهامش.

الإيمان : مَن كان الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما ، ومَن أحبَّ عبدًا لا يُحبُّه إلا لله، ومَن يكره أن يعود في الكُفر بعد أن انقذه الله منه كما يكره أنْ يُقذف في النارِ) .

وفى رواية: (ثلاث مَن كُنَّ فيه وجدَ حلاوةَ الإيمانِ وطَعْمه (٢٠٢٣): أن يكونَ اللهُ ورسوله أحبَّ إليه مما سِوَاهُمَا، وأن يُحبَّ فى الله (٢٠٢٤)، وأنْ تُوقد نارٌ عظيمة فيقع فيها أحبَّ إليه من أنْ يُشرك بالله شيئًا).

[رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى]

(ففى) هاتين الروايتين الشريفتين ـ موضوع الفتوى ـ يجيب النبى ﷺ على هذا التساؤل الهام الذى نوجهه إليه.. وهو: بماذا نجد حلاوة الإيمان فى قلوبنا؟ فيجيبنا بقوله: (ثلاث مَن كنَّ فيه وجد بهن) أى: بسبب حصولهن (حلاوة الإيمان). قال فى الفتح: فيه تلميح إلى قصة المريض والصحيح؛ لأن المريض الصفراوى يجد طعم العسل مُرًا، والصحيح يذوق حلاوته على ما هى عليه، وكلما نقصت الصحة شيئًا نقص ذوقه بقدر ذلك، فكانت هذه الاستعارة من أوضح الأدلة على زيادة الإيمان ونقصه .. ا هـ

(ثم) بعد ذلك يذكر النبى ﷺ الثلاث: فيقول: (مَنْ كَانَ اللهُ ورسُولُه احبَّ إليه) يعنى: أعظم محبوبية (مما سواهما) أى: من كل ما عداهما (ومَن أحَبَّ عبدًا لا يحبه إلا لله) أى: لا يحبه لسبب من الأسباب وغرض من الأغراض إلا من أجل صلاحه وتقواه، فهو يتقرب بحبه إلى الله عز وجل.

(ومَن يكره أنْ يعودَ في الكُفر بعد أنْ انقذهُ الله منه كَمَا يَكْره أنْ يُقذفَ فى النارِ) يعنى: أن يرسخ الإيمان فى قلبه حتى يكون الكفر أبغض شىء لديه، فهو يكره الرجوع إلى الكفر مثل كراهته أن يُطرح فى النار .

(وقال) البيضاوى: (وإنما جعل هذه الأمور الثلاثة عنوانًا لكمال الإيمان؛ لأن المرء إذا تأمل أن المنعم بالذات هو الله تعالى، وأن لا مانح ولا مانع فى الحقيقة

(٢٠٢٣) أى: ذوقه كما يجد اللسان ذوق العسل.

(٢٠٢٤) أى: أن يكون حبه وبغضه لله جل شأنه فلا يحب إلا من يحبه الله ولا يبغض إلا من يبغضه.

سواه، وأن ما عداه وسائط، والرسول يبين له مراد ربه: لقتضى ذلك أن يتوجه بكليته نحوه، فلا يحب إلا ما يحب، ولا يحب من يحب إلا من أجله. وأن يتيقَّن أن جملة ما وعد وأوعد به حق يقينًا، ويُخيل إليه الموعود كالواقع، فيحسب أن مجالس الذكر رياض الجنة، وأن العَوْد إلى الكفر إلقاء في النار) (٢٠٢٥) اهـ .

فعلى الأخ المسلم والأخت المسلمة .. أن يلاحظا هذا التلخيص الأخير .. حتى يُنفِّذا المراد منه، وحتى يتحقق بذلك كذلك كمال الإيمان الذى نرجوه، والذى هو موضوع الفتوى .. والله ولى التوفيق،،

(١٣٧) مَنْ هُمُ المتَفَيْهِقُونَ .. يَا رَسُولَ الله؟

عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **(إنَّ مِنْ أحبِّكم إليَّ ، وأقربكُم منِّى مجلسًا يوم القيامة أحَاسِنُكم أخْلاقًا ، وإن من أبغضكُم إليَّ ، وأبعدكُم منِّى يوْم القِيَامة ، الثَّرثارون ، والمتشدِّقُون ، والمتفيهِقُون)** قالوا : يا رسول الله ، فما المتفيهقون؟ قال : **(المتكبرون)** . [رواه الترمذى]

(ففى) هذا الحديث الشريف يشير النبى ﷺ إلى أهمية الأخلاق الحسنة التى هى حَجَر الزاوية فى بناء الشخصية الإسلامية المثالية وأنها سياج الأمم، وميزان تقدُّمها ورُقيها ، وعنوان عظمتها وخلودها .. وأنه بالأخلاق الفاضلة ستحيا الأمم وسيستمر وجودها، أما بدون الأخلاق فإن الانحطاط سيكون مصيرها .. ولله دَرُّ شوقى أمير الشعراء، فلقد قال :

وَإنمَا الأُمَمُ الأخْلاَقُ مَا بَقِيَتْ ... فإنْ هُمُوا ذهبَتْ أخلاقُهُم ذَهَبُوا

كما قال أيضًا :

صَلاَحُ أمرِكَ للأخْلاَقِ مَرْجِعُه ... فقوِّمِ النفْسَ بالأخْلاَقِ تَسْتقِمِ

(٢٠٢٥) ارجع إلى (الترغيب والترهيب) ج٤ ص٢٤، ٢٥، ٢٦ مع الهامش.

(وحَسْب) صاحب الخلق الفاضل أنه سيكون قريبًا من مجلس الرسول ﷺ يوم القيامة .. (أما غيره) فإنه سيكون من أبغض الناس وأبعدهم من رسول الله ﷺ يوم القيامة.

(ثم) إذا كان الرسول ﷺ قد سُئل فى ختام الحديث عن المعنى المراد من كلمة (المتفيهقون)، ثم أجاب بأنهم (المتكبرون)، فإن هذا معناه: أن المتكبر والعياذ بالله من الثلاثة الذين لن يكلمهم الله يوم القيامة .. (فعن) أبى هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: (**ثَلاَثَةٌ لاَ يُكَلِّمُهُم اللهُ يومَ القيامَة ، ولا يُزكِّيهم، ولا ينظُر إليهِمْ ولهُمْ عَذَابٌ أليمٌ: شيخ زانٍ ، ومَلِكٌ كذابٌ ، وعائل**[٢٠٢٦] **مستكبر**) [رواه مسلم]

(وعنه) رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (**بينما رَجُلٌ يمشِى فى حُلَّة تُعجبه نفسه مُرَجِّل**[٢٠٢٧] **رأسَهُ ، يختَالُ فى مِشْيته إذْ خَسف اللهُ به فَهْوَ يتجلجَلُ**[٢٠٢٨] **فى الأرضِ إلى يَوْمِ القيَامة**) [متفق عليه]

(وأما) الثرثارون: فهم الذين يُكثرون من الكلام الذى قد يصل إلى درجة الهذيان. (والمتشدِّقون): هم الذين يتطاولون على الناس بكلامهم .. الذى يكون غالبًا تفاصحًا وتفاخرًا وبملء الفم.. والعياذ بالله .

(فحذار) أخا الإسلام أن تكون من أصحاب الصفات الثلاثة المذكورة فى الحديث .. وكُنْ على عكس هذا من أصحاب الأخلاق الحسنة تخلُّقًا بأخلاق رسول الله ﷺ الذى قال الله تعالى مخاطبًا إياه: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾[٢٠٢٩].

(وعن) عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: (**لَمْ يكُنْ رسولُ الله ﷺ فاحِشًا ولا مُتَفحِّشًا**)وكان يقول:(**إنَّ منْ خِيَارِكُم أحسنَكُم أخْلاقًا**)[متفق عليه]

والله ولى التوفيق ،،

(٢٠٢٦) العائل: أى الفقير.

(٢٠٢٧) مُرجِّل رأسه: أى مُمشِّطه .

(٢٠٢٨) يتجلجل بالجيمين أى: يغوص وينزل.

(٢٠٢٩) سورة القلم: ٤ .

(١٣٨) مَنْ هُوَ الكَيِّسُ ؟ومَنِ العَاجِزُ؟ يَا رَسُولَ الله؟

عن أبى يَعلى شداد بن أوس ﷺ عن النبى ﷺ قال: (**الكَيِّسُ مَنْ دَان نَفْسَه وعَمِل لما بعْد الموت ، والعاجِز مَن أتْبع نفسَهُ هواهَا ، وتمنَّى على الله الأمَانِيَّ**). [رواه الترمذى]

(ففى) هذا الحديث الشريف يجيب النبى ﷺ على تساؤلين وُجِّها إليه .. أولهما: عن الكَيِّس ـ أى: العاقل ـ من هو؟ فيقول صلوات الله وسلامه عليه: (**الكَيِّسُ مَنْ دَان نفسَه**) أى: حاسب نفسه (**وعَمل لما بعد الموت**) أى: عمل للآخرة أعمالاً صالحة تنفعه بعد موته، وتؤنسه فى وحشة قبره.. ولله دَرُّ مَنْ قال:

لاَ يَنْفَعُ الإنْسَانَ فى قَبْرِه إلاَّ التُّقى والعَمَلُ الصَّالحُ

(ولهذا) فإنه من الكياسة أن يكون المؤمن حريصًا كل الحرص على أن يغتنم كل لحظة من لحظات حياته لصالح آخرته .. بل ودنياه.

(وقد) ورد فى هذا عن أحد الحكماء قوله:

إنَّ لله عِبَـادًا فُطَنًـا طلَّقوا الدنيا وخَافُوا الفِتَنـا
نَظَرُوا فيهَا فلمَّا عَلِمُـوا أنهـا ليسَتْ لحـىٍّ وطَنـا
جَعلُوها لُجَّةً واتخـذُوا صَالِح الأعْمـالِ فيه سُفُنَا

(وعن) أنس ﷺ أن النبى ﷺ قال: (**يَتْبع الميِّتَ ثلاثةٌ: أهلُه ومالُه وعملُه ، فيرْجِع اثنانِ ويبقَى واحِدٌ ، يرجع أهلُه ومالُه ويبقَى عَملُه**) [متفق عليه]

(وهذا) معناه أن العمل سواء كان صالحًا أم طالحًا سيدخل القبر مع صاحبه، فإن كان صالحاً فإنه سيكون معه كالعروس، وإن كان الثانى فإنه سيكون معه كالوحش الكاسر .. (والقبر صندوق العمل).

وثانيهما: أن العاجز ـ أى: ضعيف التفكير فى العواقب ، أو المتهاون والمقصِّر فى واجباته ـ فهو: (مَنْ أتبعَ نَفْسَهُ هَواهَا) أى: سار وراء شهواته ، وأرخى

العنان لنزواته.. ولا يطيع أوامر الله ولا أوامر رسوله. (**وتمنَّى على الله الأمانيَّ**) أى: اشتهى على ربه أن يُنيله الجنة، ويمنحه الدرجات العُلى .. وهو فى نفس الوقت مُقصِّر فى واجباته، ومنهمك فى المعاصى والموبقات.. والعياذ بالله .

(فكُنْ) أخا الإسلام من المنتفعين بهذه الفتوى، حتى تكون إن شاء الله من أهل الكياسة، لا من أهل العجز المذموم. والله ولى التوفيق ،،

(١٣٩) مَن الذى تَحِلُّ لَهُ المسألةُ أو الصَّدَقة؟ ومَنْ هُوَ المِسْكِينُ يا رسُولَ الله؟

عن أبى هريرةَ ﷺ عن النبى ﷺ قال:

(**ليسَ المسْكِينُ الذى يطُوفُ علَى النَّاسِ تردُّه اللقْمَةُ واللقْمَتان ، والتَّمْرة والتَّمْرتان ، ولكِنِ المسْكِينُ الذى لا يجد غِنىً يُغنيه ، ولا يُفْطن له فيُتَصَدَّقُ عليه ، ولا يقوم فيسأل الناسَ**) [رواه الخمسة إلا الترمذى]

(وهذا) معناه ـ كما يشير مضمون هذا الحديث ـ أن مَن يسأل الناس ليس مسكينًا ، فربما كان غنيًا كما هو مُشَاهد فى كثير من المواقع من جانب هؤلاء الذين يسألون الناس .. وربما كان أحدهم قد جمع كفايته وأكثر .. (ولكن) المسكين هو الذى لا يجد كفايته ولا يعرفه الناس ولا يسألهم تعفُّفًا، بل يحسبه الجاهلون غَنيًا من عِفَّته ، فهذا هو الذى يُعطَى من الصدقات.

وتوضيحًا لكل هذا المشار إليه فى موضوع الفتوى .. إليك أخا الإسلام الأحاديث الثلاثة الآتية:

(فعن) قبيصة بن مُخارق الهلالىِّ ﷺ قال: تَحملْتُ حَمالةً [٢٠٣٠] فأتيتُ رسول الله ﷺ أسأله فيها فقال: (**أَقِمْ حتَّى تأتينا الصَّدقةُ فنأمرُ لكَ بها**) ، ثم

(٢٠٣٠) بالفتح ما يتحمله الإنسان عن غيره من دِية قتيل أو غرامة ليصلح بين متخاصمين، وكانت العرب تفعل ذلك عزًا وشرفًا.

قال: (**يا قبيصةُ، إنَّ المسألةَ لا تحلُّ إلا لأحد ثَلاثة: رجلٍ تحمَّلَ حمالةً ، فحلَّتْ له المسألةُ حتى يُصيبَها ثم يُمسك ، ورجل أصابته جائحةٌ اجتاحَتْ ماله** [٢٠٣١] **فحلَّت له المسألةُ حتى يُصيب قِوامًا** [٢٠٣٢] **من عيشٍ أو سِدَادًا من عيش، ورجل أصابتْهُ فَاقَةٌ** [٢٠٣٣] **حتى يقولَ ثلاثةٌ من ذَوِى الحِجَا**[٢٠٣٤] **من قومه لقد أصابَتْ فُلاَنًا فاقة ، فحلَّتْ لَهُ المسْألةُ حتَّى يُصيب قِوامًا أو سدادًا من عَيْشٍ ، فما سِوَاهُنَّ من المسألة يا قبيصةُ سُحتًا يأكُلها صاحبها سُحتًا**) [٢٠٣٥] [رواه مسلم وأبو داود والنسائى]

(وعن) عبدالله بن عمرو ﷺ عن النبى ﷺ قال: (**لاَ تَحِلُّ الصَّدقةُ لغنىٍّ ولاَ لذِى مِرَّةٍ سَوِىٍّ**) [رواه أصحاب السنن]

أى: لا تحل الصَّدقة لغنى بملك ، أو كسب يكفيه ، أو بإنفاق غيره عليه، كما لا تحل لذى مرَّة سوى، أى: قوى سليم الأعضاء لقدرته على التكسُّب لرواية:(**ولا حظَّ فيها لغنىٍّ ولا لقوىٍّ مُكْتَسِب**) أى: واجد للكَسبْ، وإلاَّ فيُعْطى.

(وعن) عبدالله ﷺ عن النبى ﷺ قال: (**مَن سألَ الناسَ ولَهُ ما يُغنيه جاء يوم القيامة ، ومسألتُه فى وجهه خُموش أو خُدوش أو كُدوح**) [٢٠٣٦] قيل: يا رسول الله ، ومَا يُغنيه؟ قال: (**خَمْسُون دِرهمًا أو قِيمتُها من الذَّهَبِ**)

[رواه أصحاب السنن]

(فعلى) الأخ المسلم أن يفهم المراد من موضوع هذه الفتوى حتى يتعفف عن

(٢٠٣١) أى: آفة أهلكت زرعه أو مواشيه.

(٢٠٣٢) قِوامًا وسِدادًا بكسر أولهما. أى: ما تقوم به المعيشة.

(٢٠٣٣) أى: الفقر الشديد بعد يسار.

(٢٠٣٤) الحِجا بالكسر: أى العقل الراجح . . والثلاثة مُبالغة فى فاقته.

(٢٠٣٥) السُحت بالضم. أى: الحرام. قال النووى فى شرحه لمسلم (٧/ ١٤٠): «هكذا هو فى جميع النسخ سحتًا، ورواية غير مسلم سحت، وهذا واضح، ورواية مسلم صحيحة وفيه إضمار أى: اعتقده سحتًا أو يؤكل سحتًا (المراجع).

(٢٠٣٦) أى: أن من يسأل وله ما يكفيه كان فى وجهه يوم القيامة آثار منكرة شائنة.

المسألة ما دام مستغنيًا عنها .. (وذلك) بضرورة الأخذ بأسباب التوسعة، وهى العمل الشريف فى مناكب الأرض .. كما أمر الله فى قرآنه (٢٠٣٧) .. والله ولى التوفيق ،،

(١٤٠) عَلَى أىِّ الخِصَال تُحبُّ أنْ نُؤدِّب أولادَنَا .. يا رسُولَ الله؟

عن على كَرَّم الله وجهه أن النبى ﷺ قال: (**أدِّبوا أولادَكُمْ علَى ثَلاث خصَال: حُبِّ نبيكُم ، وحُبِّ آل بيته ، وتلاوة القرآن ، فإنَّ حَملَة القُرآن فى ظِلِّ عرشِ الله ، يَوْم لا ظلَّ إلا ظلُّه مع أنبيائه وأصفيائه**) [رواه الطبرانى]

(ففى) هذا الحديث الشريف يجيب النبى ﷺ على هذا التساؤل الذى نوجهه إليه فى كل وقت وحين.. وهو: (**على أىِّ خِصَال تحبُّ أنْ نُؤدِّب أبناءنا .. يا رسول الله؟**) فكان جوابه ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ هو: (**أدِّبُوا أولادَكُم**) أى: ربُّوهم (**علَى ثَلاثِ خِصَالٍ**) أى: على السجايا الحميدة، وهى:

(**حُبُّ نبيكم**) أى: حب الرسول العظيم الذى حقُّه علينا أعظم من حق الوالدين، وحبه ينبغى أن يُقدَّم على حب الوالد والولد.. لأنه ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ منقذنا من الضلال المبين المشار إليه فى قول الله تعالى: ﴿**لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ**﴾ (٢٠٣٨)

(والمراد) بحب الرسول ﷺ التمسك بسنته والتأدُّب بآدابه.. ويوم أن نغرس فى قلوب أولادنا حب الله وحب رسوله على هذا الأساس .. فإنهم سينشئون على الطريق المستقيم الذى سيكون تأكيدًا لإيمانهم .. ففى الحديث الشريف: (**وَالذى نفسى بيده لا يُؤمِنُ أحدُكُم ، حتَّى أكونَ أحبَّ إليه من: والده ، وولده ، والناسِ أجمعينَ**) .

(٢٠٣٧) فى قوله تعالى: ﴿ **فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ** ﴾ سورة الملك:من الآية ١٥ .

(٢٠٣٨) آل عمران: الآية ١٦٤ .

(ومن) علامات الإيمان أن يكون الله ورسوله أحبَّ إلى الإنسان من كل أحد في هذه الحياة.

(وكذلك): (**حُبُّ آلِ بَيْتِه**) وهم: أقرباؤه ـ صلوات الله وسلامه عليه وعترته ـ وفي الحديث: (**آلُ مُحَمَّدٍ كلُّ تَقِيٍّ**) ، ومن محبة الرسول ﷺ محبة آله وعشيرته ، لأن من أحبَّ شخصًا أحب من يلوذ به وينتسب إليه.. فمحبتُهم محبة للرسول ﷺ ، وتكريمهم تكريم له ﷺ.

(وكذلك): (**تِلاَوَةُ القُرْآنِ، فإنَّ حَمَلَة القرآنِ في ظِلِّ عَرْشِ الله ، يَوْمَ لاَ ظِلَّ إلاَّ ظِلُّه مع أَنْبِيائه وأَصْفِيائه**).(والمراد) بحملة القرآن، أي: حَفَظَته، والعاملون به، المهتدون بهديه .. فالمستمسكون بالقرآن العاملون به هم السادة الأشراف .. ولا شرف أعظم من شرف حامل القرآن.

(وحَسْبهم) أنهم سيفوزون بهذا الشرف الذي أشار إليه الرسول ﷺ في ختام الحديث .. وهو أنهم سيكونون في ظل عرش الله، يوم لا ظل إلا ظله، مع أنبيائه وأصفيائه.

(فعلى) الإخوة الآباء المسلمين أن ينفذوا المراد من هذا الحديث مع أولادهم ؛ لأنه حق من أهم حقوقهم عليهم. والله ولي التوفيق،،

(١٤١) يَا رَسُولَ الله .. إنَّا كُنَّا في جَاهِلِيَّة وشَرٍّ فَجَاءَنَا اللهُ بِهَذَا الخَيْرِ، فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟

عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أنه قال: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يُدركَني ، فقلتُ: يا رسول الله، إنَّا كُنَّا في جاهلية (٢٠٣٩) وشَرٍّ، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: (**نعم**) قلت:وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: (**نعم وفيه دَخَنٌ**(٢٠٤٠)!!)

(٢٠٣٩) المراد بالجاهلية: حياة (الشرك والوثنية) التي كان عليها العرب قبل الإسلام.

(٢٠٤٠) الدخَن مثل الدخان.. أي: أن الخير ليس خالصًا ولا صافيًا بل فيه كدر لأن ظاهره غير باطنه .